جامعـــــة السودان للعـــلوم والتكنولوجيا

كلـية الدراســـات العـليا

كـلية اللغـــات

ترجمة الصفحـات من (56-108) من كتاب (قتلة زهرة القمر) لمؤلفه : ديفيد قران.

A Translation of the Pages from (108 – 56) of the Book

Entitled: “Killers of the Flower Moon”

By: David Grann

بحث تكميلي لنيل درجة ماجستير الآداب في الترجمة العامة

إعداد الطالبة :

أمل عوض محمود عبدالله

إشراف الدكتور:

محمد الأمين الشنقيطي

2020

إهـــداء

إلى قدوتي الأولى ونبراسي الذي ينير دربي، إلى من أعطتني وما زالت تعطيني بلاحدود، إلى من رفعت رأسي عاليا إفتخارا بها... أمـــي

إلى من علمني أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم والمعرفة... أبـــي

إلى خالي العزيز في عليائه رحمه الله... الخرشي

شكـر و عـرفـان

في البداية، الشكر والحمدلله جل في علاه فإليه ينسب الفضل كله في إكمال هذا العمل. أتوجه بالشكر لأسرتي التي كانت لي خير معين وخير سند. و الشكر لابن خالتي مهند فتحي الذي ساعدني في الحصول على هذا الكتاب.

والشكر أيضا والتقدير إلى أستاذي الدكتور محمد الأمين الشنقيطي الذي أشرف على هذا العمل وكان لي خير معين. والشكر موصول لكل أساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم في كل مراحل دراستي، والشكر الخاص لأساتذة جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا بكلية اللغات.

مقدمـة المترجمة

تعد الترجمة وسيلة مهمة لتحقيق التواصل الإجتماعي بين المجتمعات، فهي تعبر عن حاجتهم وتعكس تقدمهم في مجالات المعرفة المختلفة. أصبحت الترجمة أمر حتمي لمواكبة التقدم الحضاري ونقل المعلومات وتبادل الثقافات، وبذلك أصبح للترجمة دور لا يمكن الإستهانة به في التواصل بين الأمم، فهي تعد الخيط الذي يربط بين المجتمعات ويدعم نسيج الحضارة الإنسانية وهي الجسر الذي يربط بين الشعوب المتباينة والمتباعدة ؛ فالتفاعل بين الثقافات والحضارات المختلفة يعتمد في الأساس على الترجمة.

''تعد الترجمة الأدبية من أرقى وأصعب أنواع التراجم، ويأتي الرقي من طبيعة تلك النصوص فهي تنصب حول نقل تراث فنَي وثقافي من لغة إلى أخرى، أما بالنسبة للصعوبة فتتمثل في حاجة ذلك النوع من الترجمة إلى مبدع حقيقي يستطيع ان يترجم المفردات ويصوغ الجمل وينقل المشاعر والأحاسيس وفي ذات الوقت يجعل القارئ يتعايش مع الترجمة مثلما يتعايش معها أصحاب اللغة الأصلية''. (مقتبس: مبتعث للدراسات والإستشارات الأكاديمية.)

استوحيت أحداث كتاب قتلة زهرة القمر من قصة حقيقية جرت في مدينة أكلوهوما الأمريكية حيث يقطنها شعب الأوساج الذين يعتبرون أكثر الشعوب ثراء آنذاك بعد إكتشاف البترول في أراضيهم فعاشوا حياة مترفة ، ركبوا السيارات وسكنوا القصور مما أدى لإستهدافهم و قتلهم فردا فردا. ومع زيادة نسب القتل قامت المباحث الفيدرالية والمدير السري الشاب جي ادوارد هوفر بتبني القضية. تحول هوفر الي حارث مدينة تكساس السابق بإسم توم وايت مكافحا لفك الغموض والذي بدوره جمع فريق سري من ضمنهم عميل أمريكي الأصل. ويعتبر هذا الجمع بؤرة ولادة المباحث الفيدرالية في عشرينيات القرن الماضي.

من الصعوبات التي واجهتني في ترجمة هذا الكتاب، تداخل الجمل والتقديم والتأخير لبعض المفردات و كانت هنالك صعوبة في لغة الكتاب وإحتوائه على تعابير صعبة لم أتمكن من إيجاد مقابلها المناسب.

إستطعت من خلال إستخدام القواميس الجيدة الإلكترونية واليدوية والإستعانة بالمشرف، حل مشكلة صعوبة اللغة وفك طلاسم المفردات الصعبة وإيجاد أنسب المقابل لتلك التعابير الصعبة.

4.... محافظة تحت الأرض (مواصلة)

لفض منطقة الإقليم الهندي و جعلها جزءا من الولاية الجديدة المسماة بأوكلاهوما. (بلغة تشكتاو تعني كلمة أوكلاهوما "الهنود الحمر".) و قد نجح بيقهارت في عرقلة العملية لعدة أعوام. وكانت الأوسيج آخر قبيلة في الإقليم الهندي تم تقسيمها- وهذه العرقلة قد منحت الأوسيج نفوذ أوسع برغم أن مسؤولي الحكومة كانوا أكثر حرصا لتفادي أي عراقيل أخيرة للإستقلال. في عام 1904 أرسل بيقهارت محاميا شابا يدعى جون بالمر إلى كافة أنحاء الدولة وهو الابن اليتيم لرجل أبيض و إمرأة من قبيلة سيوكس. التبنته أسرة من الأوسيج منذ أن كان طفلا و تزوج إمرأة منهم. كان يلقبه رئيس مجلس شيوخ الولاية "بالرجل الأكثر فصاحة على قيد الحياة آنذاك."

تفاوض بيقهارت و بالمر و عدد من أفراد القبيلة مع مسؤولي الحكومة لعدة أشهر حول شروط تقسيم الأرض. غلبت أصوات الأوسيج الحكومة في تقسيم الأرض فيما بين أفراد القبيلة فقط. وبذلك ترتفع حصة كل فرد من 160 فدانا الي 657 فدانا. هذه الإتفاقية من شأنها تجنب أي نزاع على أراضيها بالرغم من أن البيض قد يحاولون بعد ذلك شراء الحصص من أفراد القبيلة. تمكن الأوسيج أيضا من تجاهل الإتفاقية مما بدا في هذا الوقت كشرط غريب؛ "وذلك أن كل من النفط والغاز والفحم أو المعادن الأخرى التي تغطيها الأرض بموجب هذا القانون مخصصة لقبيلة الأوساج."

كانت القبيلة على دراية تامة بأن هنالك بعض حقول النفط تحت الأرض. فقبل أكثر من عقد من الزمان كان هنالك هنود من الأوسيج قد عرضوا على فلورر مالك المحطة التجارية في قراي هورس أن هنالك لمعان زيتي يطفو على سطح جدول في المنطقة الشرقية من الأرض. فقام على الفور بالقاء بطانيته و ضغط على السائل في وعاء. إعتقد فلورر أن رائحة ذلك السائل تبدو كرائحة شحوم العجلات التي تباع في متجره، فهرع مسرعا ليعرض تلك العينة للآخرين الذين أكدوا شكوكه بأنه نفط. و بموافقة أفراد القبيلة حصل فلورر وشريك مصرفي غني على عقد إيجار للبدء في عملية الحفر على الأرض. ظن القليل منهم بأن القبيلة تحتضن ثروة داخل أرضها؛ لكن مع وقت مفاوضات التقسيم بدأت عمليات التنقيب على الآبار الصغيرة، وتمكن الأوسيج بحنكتهم من التمسك بملكية هذا الحقل من أرضهم، حقل

لم يتمكنوا من رؤيته حتى. تباهى بالمر للكونغرس بعد شروط قانون التقسيم المتفق عليها في عام 1906، "كتبت أن إتفاقية الأوسيج خارج البلاد."

وكالآخرين من أفراد القبيلة، تلقى كل من مولي و أفراد أسرتها الثقة المعدنية وحصتهم في الأرض من القبيلة. عندما دخلت أوكلاهوما في العام التالي الإتحاد كدولة سادسة وأربعين، تمكن أفراد القبيلة من بيع أرضهم فيما كان يعرف الآن بدولة الأوسيج و لكن للحفاظ على الثقة المعدنية تحت السيطرة القبلية، لا أحد يستطيع شراء أو بيع هذه الأراضي، يمكن أن تكون موَرثة فقط. فأصبحت مولي وعائلتها أول المالكين لجزء من أرض التنقيب بالمحافظة.

=

سرعان ما بدأت القبيلة بتأجير مناطق للكثير من المنقبين البيض للإستكشاف أكثر فأكثر. لقد شاهدت مولي العديد من العمال يحملون أدوات الحفر وآخرون يحملون الحبال وبعضهم مع أدوات تجرها البغال والبعض يحملون أدوات الرفع يعملون بجد. بعد إنزال طوربيد مملوء بالنيتروجلسرين في باطن الأرض، كان العمال الملطخين بالوحل يفجرونه و ينتشون أحيانا جزءا من رمح هندي أمريكي قديم أو رأس سهم وكانوا يحدقون به في حيرة. قام هؤلاء الرجال ببناء هياكل خشبية صعدت إلى السماء كالمعابد وهم يدندنون بلغتهم الخاصة: "ترتد، قم بتحميلها على السنانير، أيها النهاشون. هذا مرتفع. حتى على المماسح، خارج، لوحة هدير."

حفر العديد من المنقبين آبار جافة، أو " خاوية " وإبتعدوا في يأس. لاحظ أوساج أن هؤلاء الرجال البيض "يتصرفون وكأنها نهاية العالم."

في أوائل القرن العشرين، بدأ المحامي من مينيابوليس جورج غيتي، سعي عائلته للحصول على النفط في الجزء الشرقي من إقليم الأوسيج، من قطعة الأرض رقم 50 التي كان قد قام بإستئجارها مقابل 500دولارا. زار ابنه جان باول غيتي المنطقه معه في صباه، وهو الذي أسس شركة غيتي للنفط وقال مستذكرا فيما بعد: "لم تكن هنالك سيارات ولا الكثير من المصابيح الكهربائية مع عدد قليل جدا من الهواتف و بالرغم من أنها كانت بداية القرن العشرين؛ إلا أنك تشعر بقوة تأثير القرن التاسع عشر. فلقد بدت مغامرة رائعة، لم ير والداي أبدا سحر كل ما فعلته فقد إعتدنا غالبا الذهاب حتى المنطقة رقم50

التي تبعد حوالي 9 أميال بعربة تجرها الخيول نحو الأوسيج، تطلب الأمر عدة ساعات وكان علينا عبور نهر للوصول الى هناك." وتابع قائلا: "لقد كانت أيام رائعة."

سأل جان باول والده عن الهنود قبل لقائهم قائلا: " هل هم خطرون؟ وهل سيتعين علينا محاربتهم؟" أجاب والده ضاحكا: "لا. إنهم هادئون الى حد ما."

في يوم ربيعي رطب من عام1917 كان المنقب فرانك فيليبس . الذي إبتاع محلولا لمحاربة الصلع . خارجا مع عماله في القطعة رقم185 التي تبعد أقل من نصف ميل عن القطعة رقم50. كانوا هناك على منصة الحفر عندما بدأت الرافعة بالإهتزاز و كأنها قاطرة تتسارع و تتردد في صوتها و أتى صوت صرير و بقبقة من البئر ثم بدأ العمال بالركض. و بدت صرخاتهم خافتة بسبب صوت الرافعة المدوي. إنفجرت الأرض وإنبعث زيت أسود كالعمود في الهواء، وسرعان ما أمسك أحد الحفارين فرانك وجره بعيدا عن المنصة.

في عام 1920 قام إي.دبليو.مارلاند الرجل الذي كان لا يستطيع تحمل نفقة أجرة قطار من شدة فقره، بإكتشاف بئر بيربانك وهي واحدة من أعلى الآبار إنتاجا للنفط في الولايات المتحدة، والتي بلغ إنتاجها حوالي 680 برميلا في الأربعة وعشرين ساعة الأولى من بداية إكتشافها. فبدا كل إكتشاف جديد أكثر إثارة من الذي قبله.

هرع العديد من الأوسيج ليروا تدفق النفط عند إنفجار البئر. وكانوا يتدافعون للحصول على أفضل رؤية مع الحرص على عدم التسبب في أي شرارة. كانت أعينهم تتابع إندفاع النفط و كأنه اطلاق نار على خمسين وستين وأحيانا مائة قدم في الهواء. غطى الرزاز الحقول و الزهور ولوث وجوه العمال و المنقبين و كأنه ملك الموت إرتفع أمامهم بأجنحته السوداء الكبيرة. بالرغم من ذلك تعانق الناس و القوا بقبعاتهم في الهواء إحتفالا بما حدث. لقب بيقهارت الذي توفي بعد وقت قصير من فرض التقسيم ب"موسى الأوسيج." بدت رائحة تلك المادة المعدنية الطينية السوداء كأنها أجمل شيء في العالم.

5.... تَابِعُو الشيطان

كان المال أحد الوسائل التي كانت تحت تصرف مولي والتي أدت لإقناع سلطات البيض غير المكترثة لملاحقة قاتل الهنود. بعد وفاة ليزي في يوليو من عام 1921 قام صهر مولي بيل سميث بتقديم شكوكه للسلطات بأنها قد سممت ببطء، وبحلول شهر أغسطس لم يلقو أية نظرة على القضية ولم يتم إحراز أي تقدم في التحقيق الذي جرى بعد ثلاثة أشهر في جريمة قتل آنا. ولحث المحققين، أصدرت عائلة مولي بيانا قائلة فيه: "أنه و بسبب بشاعة الجريمة" و"المخاطر التي تحف بالآخرين" فإنهم سيقومون بتقديم 2000دولارا كجائزة نقدية لمن يقوم بتقديم أي معلومة تؤدي لإعتقال أولئك المسؤولين. كما قامت أيضا عائلة وايتهورن بتقديم جائزة بقيمة 2500 دولارا لمن يقوم بالقبض على قتلة تشارلز. ووعد ويليام هال الذي قام بحملة للقضاء على العنصر الإجرامي من دولة الأوسيج بتقديم مكافأته لأي شخص يلقي القبض على القتلة، أحياء أو أموات. وقال: "يجب علينا إيقاف هذا العمل الدموي."

إستمر الوضع مع تطبيق القانون في التدهور. وسرعان ما أتهم المدعي العام في ولاية أوكلاهوما شريف فراس بـ"الفشل في تطبيق القانون" عمدا من خلال السماح بالتهريب والقمار،أنكر فراس هذه الإدعاءات. و بينما كانت القضية في إنتظار الحكم، قام إثنان من رجال القانون بالتحريض ضد بعضهما. وبالنظر إلى هذه الفوضى أعلن هال أنه قد حان الوقت لتعيين متحري خاص.

كانت وكالات المباحث الخاصة خلال فترة طويلة من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، قد ملأت الفراغ الذي خلفته إدارات الشرطة اللامركزية التي تعاني من نقص التمويل والعجز وفساد الشرطة وأقسامها. ففي صناعة الأدب والخيال الشائع؛ معرفة المتحري الخاص . المخبر والبوليس السري والكلب البوليسي . قد شرَدوا عمدة الحروب الصليبية كنموذج للعدالة القاسية. إنتقل عبر الحدود الجديدة الخطرة للأزقة العميقة والأحياء الفقيرة المتجذرة. بدلا عن ذلك لم يكن توقيعه بمثابة إطلاق نار سادسة مثل شارلوك هولمز الذي كان يعتمد على قوى العقل المنطقية و الإستنباط والقدرة على رصد ما رآه واتسونس العالم فقط. فقد وجد النظام في تشوش وخلط القرائن كما قال أحد المؤلفين: "تحولت الجرائم الوحشية . آثار الوحش في الإنسان . إلى ألغاز فكرية."

ولكن منذ البداية إختلط سحر المحققين الخاصين بالكره. فقد كانوا غير مدربين وغير خاضعين للرقابة وغالبا ما كانت لديهم سجلات جنائية خاصة بهم بالرغم من إمتنانهم للعملاء الذين يدفعون، كان ينظر إليهم على أنهم بالفعل مجموعات خبيثة تسرق أسرار الناس. (أشتق مصطلح "الكشف" من الفعل اللاتيني "غير مسقوف" ولأن الشيطان وفقا للأسطورة، سمح لأتباعه بالتطفل على المنازل عن طريق إزالة أسقفها، وكان يعرف المحققون حينها "بتابعي الشيطان.")

في عام 1850، أسس آلان بينكرتون أول وكالة مباحث أمريكية خاصة بإعلانات تحمل شعار "العين الساهرة"، وتم نقشها تحت عين كبيرة لا تغمض تشبه العين الماسونية والتي أستنبط منها مصطلح "العين الخاصة." وفي دليل للمبادئ والقواعد العامة التي كانت بمثابة مخطط لهذه الصناعة، إعترف بينكرتون بأن هذه المباحث يجب عليها الخروج عن خط الحقيقة الصارم و "اللجوء إلى المكر أحيانا." ولكن حتى العديد من الناس الذين إحترفوا هذه المهنة إعتبروها شرا لابد منه. على حد تعبير مصطلح المحققق الخاص قد يكون "ثعبان بائس لكنه كان أيضا "المنتقم الصامت والسري والفعال في إنتهاك سلطة القانون عندما يفشل كل شئ آخر."

قام هال بإستئجار محقق خاص من مدينة كانساس والذي أطلق عليه اسم بايك. للحفاظ على حقيقة هويته، التقى بايك الذي يدخن الغليون و يضع شاربا بهال في مكان سري بالقرب من ويزبانغ. (اعتبر القادة المدنيين كهال أن اسم ويزبانغ مهينا فبدلا عن ذلك اطلقوا عليها اسم مدينة دينويا بعد اسم عائلة الأوسيج الشهير.) اجتمع هال مع بايك فانطلق بايك ليباشر تحقيقاته كدخان من حقول النفط ذاب في السماء.

وبتوجيه من مولي وعائلتها قامت أيضا ملكية آنا التي كانت تدار بواسطة سكوت ماثيز مالك شركة بيغ هيل التجارية الذي كان يدير الشؤون المالية لآنا وليزا كوصي لفترة طويلة، أيضا بإستئجار محققين خاصين. زعمت حكومة الولايات المتحدة أن العديد من الأوسيج غير قادرين على التعامل مع أموالهم، لذلك تقدمت بطلب لمسؤول الشؤون الهندية تحديد أفراد القبيلة الذين ترى أنهم مؤهلين وقادرين على إدارة صناديقهم الإئتمانية (أموالهم.) على الرغم من إعتراضات القبيلة الشديدة، كان العديد من الأوسيج بمن فيهم ليزي وآنا من الذين حددوا بأنهم غير جديرين بإدارة أموالهم وأجبروا على أن يكون هناك وصي محلي يتم إختيارهم من أبرز المواطنين البيض في دولة الأوسيج يشرف على كل منصرفاتهم من أعلى شئ وصولا إلى معجون الأسنان الذي اشتروه من متجر الزاوية. قال أحد أفراد الأوسيج الذين

خدموا في الحرب العالمية الأولى شاكيا: "لقد حاربت في فرنسا من أجل هذا البلد ولكنه لا يسمح لي حتى بتوقيع الشيكات الخاصة بي."

وضع ماثيز فريقا من المحققين الخاصين مع بعضهم كما فعلت المقاطعة لوايتهورن. كان المحققون الخاصون الذين يحققون في وفاة الأوسيج قبل المغامرة بأنفسهم يعملون لدى وكالة مباحث ويليام جي بيرنس الدولية. كان بيرنس عميل المخابرات السابق رجل قصير القامة وشجاع مع شارب كثيف وشعر أحمر أشعث فقد كان يطمح في أن يكون ممثلا، نجح بينكرتون كأفضل تحري خاص في العالم ونجح أيضا في زرع الغموض والتكهن في كتابة لب قصص المحقق عن قضاياه. وفي أحد هذه الكتب أعلن قائلا: "اسمي ويليام جي بيرنس وعنواني هو نيويورك ولندن وباريس ومونتريال وشيكاغو وسان فرانسيسكو ولوس انجلس وسياتل ونيوأورليانز وبوستن وفيلاديلفيا وكليفلاند وأي مكان آخر يجد فيه المواطن الملتزم بالقانون حاجة إلى رجال يعرفون كيف يذهبون بهدوء لإلقاء القبض على قاتل مخيف متربص أو تصوير المجرمين الذين أصبحوا فريسة لأصحاب السلوك المستقيم."وعلاوة على ذلك اللقب الذي أطلق عليه، "المتحري الذي يتصدر الصفحة الأولى" بسبب ترقيته المستمرة، فقد سجل رقما قياسيا عندما استدعته *نيويورك تايمز* لقبضه على أولئك المسؤلين عن التفجير الذي حصل عام 1910 لمقرها الرئيسي في *لوس أنجلوس* والذي قتل فيه عشرين شخصا. قالت عنه: "إنه وبلا شك المتحري الوحيد الفذ الذي أنجبته هذه الدولة." وأطلق عليه سير آرثر لقب "شارلوك هولمز أميريكا" ذلك اللقب الذي كان يتوق إليه.

فعلى عكس شارلوك هولمز؛ قام بيرنس بتزوير هيئة المحلفين ومن المزعوم أنها قامت بإختطاف مشتبه به. كان بيرنس يستخدم بشكل روتيني تقنيات خبيثة للجواسيس الإمبراطوريين و بعد القبض عليه في محاولة لسرقة أدلة من مكتب محاماة في نيويورك قال:" إن مثل هذه الأساليب كانت ضرورية في بعض الأحيان لإثبات مؤامرة ومثل هذه الخطوط قد خرقت آلاف المرات بواسطة المحققين أنفسهم." جسد بيرنس مهنة جديدة بإتقان.

=

بدأ فريق من العملاء الذين إستأجرهم ماثيز في ذلك الصيف، بالتسلل داخل دولة الأوسيج. قام كل عميل منهم بتعريف نفسه في تقاريره اليومية بواسطة شفرة رقمية فقط. ففي البداية سأل العميل رقم 10 ماثيز عمن كان محلفا في لجنة التحقيق ليصف له مسرح الجريمة. كتب العميل رقم 10: " ابتعدنا أنا و ماثيز عن المكان حيث وجدت الجثة."

تحدث أحد المحققين مع خادمة آنا الرئيسية التي كشفت أنه وبعد العثور على الجثة قد حصلت على مجموعة من مفاتيح تخص آنا وذهبت بها مع أخت آنا التي تدعى ريتا سميث لمنزل آنا. فتحت الإمرأتان الباب في هدؤ ودخلن في صمت إلى الداخل وبشكل لا يصدق، لم يقم أحد من مكتب الشرطة بتفتيش المكان. فوجدن مجوهراتها والبطانيات والصور وكل ما إقتنته من أشياء قيمة طوال حياتها. قد بدت الآن وكأنها أطلال مدينة ضائعة. قالت الخادمة التي ساعدت آنا في إرتداء ملابسها في يوم إختفاءها: "كان كل شي كما تركناه" بإستثناء شي واحد وهي محفظة جلد التمساح التي أخذتها معها إلى مأدبة غداء مولي، فقد كانت مرمية على الأرض وكل شي ممزق منها.

يبدو أنه لم يسرق أي شيء آخر في المنزل فقد أشار وجود المحفظة إلى أن آنا قد عادت إلى منزلها على الأرجح في وقت ما بعد مأدبة الغداء. ويبدو أن صهر مولي برايان كان يقول الحقيقة عن أنه أحضرها إلى منزلها. ولكن السؤال هل هو من أرجعها حقا؟ أم أنها ذهبت مع شخص آخر؟

إتجه العميل رقم 10 إلى إحتمال آخر، من الممكن أن يكون مفتاح الحل لهذه القضية هو تسجيلات المكالمات الهاتفية الواردة والصادرة لآنا. ففي تلك الأيام، يتم إجراء المكالمات الهاتفية عبر مشغل يدوي في لوحة المفاتيح وغالبا ما يتم نقل هذه المكالمات على المدى البعيد عبر لوحات مفاتيح متعددة. ففي كثير من الأحيان يحتفظ هؤلاء المشغلون بسجل مكتوب للمكالمات. ووفقا لسجل مشغل فايرفاكس أنه حوالي الساعة8:30 في ليلة إختفاء آنا قام أحد ما بتسجيل مكالمات هاتف منزلها من هاتف يعود إلى شركة في رالستون. تلك البلدة التي تقع على بعد ستة أميال جنوب غرب قراي هورس. كشفت تلك التسجيلات أن شخصا ما أجاب على الهاتف ومن المحتمل أنها آنا. مما يعني أنها على الأرجح كانت لاتزال في منزلها عند 8:30 ويعتبر هذا دليل آخر على أن برايان كان صادقا في قوله أنه أخذها إلى منزلها.

شعر المحقق الخاص أنه على وشك فك طلاسم هذه القضية، فأسرع إلى شركة رالستون حيث جرت المكالمة. أصر العميل في الشركة أنه لم يتصل بمنزل آنا وأنه لا يسمح لأحد بإجراء مكالمة طويلة المدى كهذه المكالمة من هاتفه و زعم بشكواه أنه لا يوجد عميل في رالستون لديه تسجيل المكالمة التي أجريت عبر مشغل فايرفاكس. كتب العميل رقم 10: "تبدو هذه المكالمة غامضة،" فقد إرتاب أن رقم رالستون هذا يبدو"مشفرا" وأنه قد تمت رشوة العميل ليقوم بإتلاف السجل الأصلي الذي قد يكشف المصدر الرئيسي للمكالمة. وأنه يبدو أن أحد ما قد قام بتضليل مساره أو مسارها.

أراد المتحري رقم 10 أن ينظر عن كثب في نقاط الشك العامة تجاه الزوج المطلق ولكنه تأخر الوقت و قد أنتهى من كتابة تقريره الذي قال فيه: "لقد توقفت عن العمل على القضية في تمام الساعة 11مساءا."

=

أرسل من فريق المحققين المحقق رقم 46 بعد أسبوع، ليحدد موقع براون في مدينة بونكا التي تبعد خمسة وعشرين ميلا شمال غرب قراي هورس. كتب المحقق رقم 46 في تقريره: "إجتاحت عاصفة وحشية البراري وحولت الشوارع إلى بركة من الوحل، لذلك لم يصل المحقق الخاص إلى مدينة بونكا حتى حلول الظلام. فقط ليكتشف أن براون لم يكن هناك. وقيل أنه يزور بيري وأوكلاهوما حيث عاش والده. وفي اليوم التالي إستقل المحقق رقم46 قطارا متجها إلى جنوب بيري ولكن براون لم يكن هناك. أما ، فقد قيل انه الآن في باوني. "وبالتالي تركت مدينة بيري في أول قطار." كان هذا هو ما تركته قصص تشارلوك هولمز؛ عبء عمل المباحث الحقيقي والخيوط الخاطئة والنهايات المقفلة.

ذهب المتحري رقم46 حتى مدينة باوني جيئة وذهابا، وراقب رجلا نحيل الشكل يدخن سجائر ويبدو منظره ماكرا وله لون شعر كلون الصدأ وعينان مسطحتان بلون رمادي. كان هذا الرجل هو أودا براون. وكان بصحبة إمرأة من مدينة باوني الذي كان قد ورد أنه تزوج بعد وفاة آنا. فبقي المحقق قريبا لهم ويتعقبهم. ففي يوم ما إقترب المحقق رقم46 من براون في محاولة منه لمصادقته. يقول بينكرتون ناصحا: "إن المحقق اليقظ يقبض على المجرم وهو في أضعف حالاته ويأخذ القوة من بتعاطفه والثقة التي لدى المجرم والسر الذي يوقعه." هكذا إتخذ المحقق رقم46 طريقه عميقا لكسر ثقة براون. عندما ذكر براون أن زوجته السابقة قد قتلت، حاول المحقق رقم46 أن يعرف منه مكان وجوده في الوقت الذي قتلت فيه. وعلى ما يبدو قد إشتبه براون في أمر صديقه الجديد بأنه شرطي محترف فقال أنه قد كان بعيدا برفقة إمرأة أخرى رغم أنه لم يكشف عن الموقع، لكن المحقق رقم46 قد درس براون جيدا وفقا لدليل سر المجرم يصبح "عدوا" داخله و "يضعف كامل قوته" ولكن براون لم يظهر توتره على الإطلاق.

بينما كان المتحري رقم46 منشغلا بالتحري عن براون، علم متحر آخر رقم28 سرا يبدوا خطيرا من كاو المرأة الهندية التي تسكن بالقرب من الحدود الغربية لدولة الأوسيج. قالت في إفادتها بأن روز أوسيج وهي هندية أيضا من فيرفاكس، قد إعترفت لها بأنها هي من قامت بقتل آنا بعد محاولتها إغواء صديقها جو آلن. قالت روز ذلك عندما كانوا ثلاثتهم يركبون سيارة. لقد ضربتها في أعلى رأسها وبعد ذلك وبمساعدة

جو قمنا بإغراق الجثة في جدول صغير. وتلطخت ثياب روز بدم آنا لذلك قامت بخلعهم ورميهم في الجدول.

لقد كانت قصة غامضة ولكن المتحري رقم 28 كان مدعوم بالإكتشاف. وكتب في تقريره اليومي: "أنه قد أمضى ساعات مع ماثيز وشريف فراس اللذان ما زالت محاكمتهما قيد التعليق. ومتابعة هذه الفكرة التي يبدو أنها تؤدي إلى القضية."

على الرغم من مجهودات المحققين الخاصين لتعزيز معلومات القصة، إلا أنه لم ير أحد آنا مع روز أو جو ولم توجد أي ملابس في الجدول مع الجثة. فهل من الممكن أن تلك المعلومات ببساطة قد قيلت للحصول على الجائزة؟

كان سمن شريف فراس الذي ظهر على عنقه وصدره سببا في إستبعاد المحققين الخاصين كل من روز وصديقها كمشتبه بهم. ثم تقديم شائعات مضادة بأن هنالك شخصيتان من معسكرات النفط قد زعم أنهما قد شوهدتا مع آنا قبل وقت قصير من وفاتها وأنهما قد غادرتا البلدة فورا. وافق المحققون الخاصون النظر لقصة الشريف ولكن فيما يتعلق بالإدعاءات ضد روز، تعهد المحقق رقم28 وقال: "نحن سنتابع فرضيات هذه القضية."

=

شارك المحققون الخاصون الذي عرفوه مع بيل سميث وصهر مولي الذي كان ما يزال يجري تحرياته الخاصة. كان سميث البالغ من العمر تسعة وعشرين عاما لص أحصنة قبل أن يلحق نفسه بثروة الأوسيج أولا بزواجه من ميني شقيقة مولي وبعدها بشهور قليلة بعد وفاة ميني في ظروف غامضة "مرض الهزال الغريب" في عام 1918. وبعدها بزواجه أيضا من ريتا شقيقة مولي. وفي أكثر من إحتفال عندما كان بيل مخمورا قام بضرب ريتا. وقالت الخادمة فيما بعد أنه بعد شجار واحد بينهما: "خرجت وبها كدمات" أخبر بيل الخادمة بأنه كان هذا السبيل الوحيد للبقاء معهم وكانت ريتا غالبا ما تهدد بيل بأنها سوف تهجره ولكنها لم تفعل قط.

كان لدي ريتا عقل فطن إلا أن أولئك المقربون منها إعتقدوا أن حكمها ضعيفا ووصفه أحد الأشخاص وكأنه "حب أعمى حقا" تساءلت مولي في شك حول بيل، هل وبطريقة ما قد يكون مسؤولا عن ووفاة ميني؟ فقد إعتقد أحد المحاميين المحليين بأن بيل كان يتاجربميثاق الزواج المقدس لتحقيق مكاسب دنيئة.

لكن منذ مقتل آنا سعى بيل بكل الطرق لإكتشاف من الجاني. وعندما علم بيل أن خياطا في المدينة ربما لديه معلومات، ذهب إليه على الفور مع محقق خاص ليسأله بعض الأسئلة ليجد فقط أنه كان ينشر الإشاعة أن روز هي من قامت بقتل آنا بدافع الحقد والغيرة.

قرر المحققون الخاصون في محاولة يائسة تثبيت جهاز تنصت للتجسس على روز وصديقها. في ذلك الوقت الذي كانت القوانين التي تحكم المراقبة الإلكترونية غير واضحة فقد كان بيرنس مستخدما للديكتوغراف بكثرة وهو جهاز تنصت بدائي يمكن إخفاءه في أي شئ من الساعة إلى الثريا. كان بيرنس أول أمريكي يرى الإمكانيات الهائلة للجهاز في عمل المباحث. جاء في الملخص الصحفي عام 1912: "هو متيم جدا به لدرجة أنه دائما ما يحمل واحدا في جيبه." تماما كما كان يعرف آلن بينكرتون في القرن التاسع عشر ب"العين" أصبح بيرنس في القرن العشرين يعرف ب"الأذن".

بدأ المحققون المختبئون في غرفة أخرى الإستماع لأصوات روز وصديقها عبر سماعات الأذن ولكن كما هو الحال مع المراقبة فإن سرعة الإنفعال قد أفسحت المجال لضجر حياة الآخرين الخاصة فتوقف المحققون في نهاية الأمر عناء تدوين التفاصيل غير المهمة التي سمعوها.

ومع إستخدام وسائل أكثر تقليدية، قام المحققون الخاصون بإكتشاف مذهل، وهو أن سائق التاكسي الذي أخذ آنا لمنزل مولي في اليوم الذي إختفت فيه قد أخبرهم أنها قد طلبت منه أن يقف أولا عند مقبرة في قراي هورس. فصعدت وتعثرت عبر الحجارة حتى توقفت بجانب قبر والدها، ولوهلة وقفت بالقرب من مكان و كأنها سوف تدفن فيه قريبا كأنها تقدم صلاة حداد على نفسها. بعد ذلك عادت إلى السيارة وطلبت من السائق أن يرسل أحد ما ليجلب أزهارا لقبر والدها فهي تريد أن تكون مقبرته دائما بشكل جميل.

وبينما هم مستمرين في طريقهم لمنزل مولي، إنحنت آنا نحو السائق حتى إستطاع أن يشم رائحة الخمر المختلطة بأنفاسها وهي تفشي سرا: أنها كانت ستنجب طفلا.

أجاب الساق: "لا، ياالهي."

قالت: "أنا"

فقال: "هل هذا صحيح؟"

"نعم."

طابق المحققون لاحقا القصة مع شخصين مقربين من آنا كانت قد أخبرتهم بخبر حملها ولكن لا أحد يعلم من كان والده.

=

في أحد أيام ذلك الصيف، ظهر شخص غريب ذو شارب كثيف في قراي هورس ليقدم مساعدته للمحققين الخاصين.كان يدعى الرجل أفطس الأنف . الذي كان مسلحا بمسدس بعيار 44 قصير الفوهة ـ أي.دبليو كومستوك فقد كان من المحامين المحليين والوصي على العديد من هنود الأوسيج. إعتقد بعض المحليون أن جون بأنفه المعقوف وبشرته السمراء ربما يكون جزءا من الهنود الأمركيين ـ الإنطباع الذي فعل القليل لكبح العزيمة على الرغم من أنه عزز خبرته القانونية. وأبدى محاميا آخر رأيه قائلا: "أيمكن لهذه الحقيقة التي يمثلها على أنه هندي ستجعله يتعايش جيدا مع الهنود؟" كان ويليام بيرنس في إحدى المرات قد حقق مع جون بزعم مساعدة من شركة نفط في خطة لرشوة مجلس الأوسيج القبلي مقابل عقد إيجار مناسب، ولكن لم يتم إثبات التهمة مطلقا."

وبالنظر للإتصالات العديدة بين كومستوك والأوسيج، أخذ المحققون عرض المساعدة الذي قدمه عندما كان المحققون يحاولون إثبات العلاقة بين قتل شارلس وايتهورن وآنا براون، مر كومستوك على كل القصص التي جمعها من شبكة المخبرين الخاصة به. كانت هنالك شائعات تدور حول أن هاتي أرملة وايتهورن كانت تطمع في أموال زوجها. وشائعة تقول أنها تشعر بالغيرة من علاقته بإمرأة اخرى، فهل من الممكن ان تكون هذه المرأة آنا؟ ومثل هذه الإفتراضات قادت إلى السؤال المنطقي، هل كان وايتهورن والد طفلها؟

بدأ المحققون بمراقبة هاتي وايت هورن على مدار الساعة متطلعين لرؤيتها دون ان تتمكن من كشفهم و رؤيتهم: "تعقب المحققون السيدة وايتهورن حين أتت إلى مدينة أوكلاهوما من بوهوسكا... غادرت مدينة أوكلاهوما مع السيدة وايتهورن إلى قوثري...تعقب السيدة وايت هورن من تولسا إلى بوهوسكا." ولكن لم يكن هنالك أي تقدم.

بحلول شهر فبراير عام 1922، بعد تسعة أشهر من جرائم قتل وايتهورن وآنا براون، بدت التحقيقات في القضايا قد وصلت إلى طريق مسدود. تحرك بايك المحقق الذي جنده هال. فلم يعد شريف فراس يقود التحقيقات في فبراير ذاك فقد طرد من منصبه بعد أن أدانته هيئة المحلفين بتهمة الفشل في تطبيق القانون.

ثم في ليلة شديدة البرودة في ذلك الشهر، تلقى ويليام ستيبسون بطل الأوسيج البالغ من العمر تسعة وعشرين عاما، مكالمة دفعته لمغادرة منزله في فايرفاكس. وعاد إلى منزل زوجته وطفليه بعد عدة ساعات يبدو عليه المرض. كان ستيبسون دائما في أروع حالاته ولكنه توفي في غضون ساعات. إعتقدت السلطات بناءا على فحص الجثة أن أحدا ما قابله أثناء رحلته وقد حقنه جرعة من السم ربما يشتبه أنها قد تكون مادة الإستركنين السامة . مادة بيضاء قلوية، وفقا لأطروحة طبية في القرن التاسع عشر"حقن بقوة أكثر تدميرا" أكثر من أي سم فعال آخر. وصفت الأطروحة كيف يصبح حيوان المختبر الذي حقن بمادة الإستركتين "متهيجا ومرتجفا، بداية من الأطراف وبعدها يصعب التعامل معه. " مضيفة؛ "تزداد هذه الأعراض إلى أن تتعرض للهجوم مع نوبة عنف عامة مع التشنجات العنيفة حيث ينحني الرأس للخلف و يشتد العمود الفقري و تتمدد الأطراف وتتصلب. يتم فحص التنفس عن طريق تثبيت الصدر." كانت ساعات ستيبسون الأخيرة بمثابة عذاب فظيع؛ تشنجت عضلاته وكما لوأنه صعق بالكهرباء، وشد عنقه و فكه و ضاقت رئتيه و لم يستطع التنفس حتى أختنق في آخر الأمر.

وبوفاة ستيبسون، إبتكر العلماء العديد من الأدوات للكشف عن السم داخل الجثة. يمكن إستخراج عينة من خلايا الجسم وإختبارها لوجود مجموعة من المواد السامة من الإستركنين إلى الزرنيخ. وبذلك تم تطبيق أساليب الطب الشرعي هذه في جميع أنحاء البلاد بشكل أقل ثباتا من البصمات والتقنيات البالستية. في عام 1928، خلص مسح أجراه المجلس القومي للأبحاث إلى أن الطبيب الشرعي في معظم مقاطعات الولايات المتحدة كان "فردا غير مدرب ولا يتمتع بالمهارة" ولديه "عدد قليل من المساعدين ذوي القدرة المتواضعة ومعدات غير متكافئة." ففي مكان كدولة الأوسيج، حيث لم يكن هناك طبيب شرعي مدرب على الطب الشرعي، ولا يوجد مختبر للجريمة، كان التسمم هو الطريقة المثلى لإرتكاب جريمة القتل. فقد كانت السمموم متوفرة بكثرة في المنتجات الموجودة على رفوف الصيدليات والمتاجر. فعلى عكس الطلقة النارية؛ يمكن إعطاءه بدون أن يصدر صوتا. وتشبه أعراض العديد من المواد السامة أعراض الأمراض العادية التي تتمثل في الغثيان وأسهال الكوليرا أو حدوث نوبة قلبية. إبان قانون منع الخمر، حدثت الكثير من الوفيات الناجمة عن الكحوليات الخشبية وغيرها من الخمور السامة لمروجي الويسكي حيث يمكن للقاتل أيضا أن يحتسي كوبا من الخمر دون إثارة الشكوك حوله.

في 26مارس عام1922، وبعد أقل من شهر من وفاة ستيبسون، توفيت إمرأة من الأوسيج يشتبه التسمم في سبب وفاتها. ومرة أخرى لم يجرى فحص السمية لها. ثم في 28يوليو، حصل جوباتس رجل

من الأوسيج في الثلاثينات من عمره على بعض الويسكي من شخص غريب وبعد أخذ رشفة منه، بدأ الزبد بالخروج من فمه قبل أن يخر واقعا. توفي هو الآخر بما وصفته السلطات بأنه سم غريب. تاركا خلفه زوجة وستة أطفال.

بعد إستمرار إرتفاع عدد الوفيات المشبوهة في أغسطس، ذهب سادة الأوسيج إلى بارني ماكبرايد رجل النفط الأبيض الثري البالغ من العمر خمسة وخمسين عاما طالبين منه الذهاب إلى العاصمة واشنطن ليطلب من السلطات الفدرالية التحقيق. كان ماكبرايد متزوجا من إمرأة إغريقية من الهنود لكنها الآن متوفية وكان يرعى ابنتها. وكان أيضا شديد الإهتمام بشؤون الهنود في أوكلاهوما وكان محل ثقة للأوساج.فقد وصفه أحد الصحفيون بأنه "الرجل الطيب ذو الشعر الأبيض." وبالنظر إلى أنه كان يعرف الكثير من المسؤلين في واشنطن فقد إعتبره شعب الأوسيج الرسول المثالي.

عندما وصل ماكبرايد إلى غرفة السكن في العاصمة، وجد برقية من شريك له في إنتظاره تقول: "كن حذرا،" فحمل ماكبرايد معه الإنجيل ومسدس عيار 45. وفي المساء توقف عند نادي الكس ليلعب البلياردو. وعند خروجه هاجمه شخص ما وربطه بإحكام بواسطة كيس من الخيش حول رأسه. وجدت جثة ماكبرايد في صباح اليوم التالي في مجرى للمياه في ميريلاند. وقد تبين أنه طعن أكثر من عشرين مرة ووجدت جمجته مهشمة وتم تجريده من ملابسه بإستثناء جواربه وحذاءه الذي ترك عليه بطاقة تحمل اسمه. تشير أدلة الطب الشرعي أنه قد هاجمه أكثر من مهاجم واحد، وتشتبه السلطات أن قاتليه كانوا يتعقبونه من أوكلاهوما.

سرعان ما وصلت أخبار القتل لمولي وعائلتها. القتل الذي وصفه مكتب *واشنطن* بأنه "الأكثر وحشية في سجلات الجرائم في المنطقة." بدا وكأنه أكثر من جريمة قتل فقد كانت كانها تحمل رسالة تحذيرية. كما أشار المكتب أيضا: إنها تبدو أكثر من مجرد جريمة قتل بسيطة، تحمل رسالة قوية وتحذيرية بشكل واضح: **مؤامرة لقتل الهنود الأثرياء**.

6.... شجرة المليون دولار

بالرغم من كل جرائم القتل تلك، فقد إستمروا بتقديم أعظم بارونات النفط في العالم. كان رجال النفط بمن فيهم إي.دبليو.مارلاند وبيل سكيلي وهاري سينكلير وفرانك فيليبس وإخوته يتوقفون كل ثلاثة أشهر في الساعة العاشرة صباحا عند محطة القطار في بوهوسكا في عربات السكة حديد الفارهة خاصتهم. وستذيع الصحافة برنامجها في بيان بإسم: "المليونير الإستثنائي" بحسب الوصول؛ تمنح اليوم بوهوسكا المدينة زيادة لرجال النفط؛ تلك اللحظة التي يترقبها أصحاب الملايين بفارغ الصبر.

جاء البارونات لمزاد إيجارات أراضي الأوسيج، وهو حدث يتم حوالي أربع مرات في السنة وتشرف عليه إدارة الشؤون الداخلية الذي أطلق عليه أحد المؤرخين اسم "أوساج مونتي كارلو." منذ أن بدأت المزادات في عام 1912، جزء من أراضي دولة الأوسيج الشاسعة المحجوزة سرا قد تم فتحها للحفرفقط، بينما إرتفعت المناقصات للحصول على عقد إيجار واحد الذي عادة ما يغطي 160فدانا. جاء في صحيفة *أوكلاهوما اليومية*: "كادت ملايين بروستر بطل القصة، أن تؤدي به إلى الجنون في محاولة لإنفاق 1000,000دولارا في عام واحد. إذا كان بروستر في أوكلاهوما... كان بإمكانه إنفاق 1000,000دولارا بإيمائة من رأسه."

انعقدت المزادات في الهواء الطلق لروعة الطقس على قمة تل في بوهوسكا تحت ظل شجرة ضخمة تعرف بإسم شجرة المليون دولار. يأتى المتفرجون من على بعد أميال. وفي بعض الأحيان يشهد ايرنس و مولي و أفراد آخرون من القبيلة هذا الحدث. ذكرت الصحافة المرتبطة وقامت بنشر الصورة النمطية المعتادة:"هناك طابع لوني في الجماهير وأيضا بالنسبة إلي الهنود الأوسيج... غالبا ما يكونوا متفرجين ولكنهم مهمين." والآخرون في المجتمع بمن فيهم المستوطنين أمثال هال و ماثيز مالك شركة بيق هيل التجارية كانوا من المهتمين جدا بالمزادات. إن المال الذي تدفق على المجتمع من إزدهار النفط قد ساعد في بناء أعمالهم و تحقيق أحلامهم التي كانت تبدو خيالية في تحويل المراعي الجرداء إلى منارة التجارة.

وقف الدلال أخيرا ـ الرجل الأبيض ذو الشعر الخفيف وصاحب الصوت القوي . تحت الشجرة مرتديا قميصا مخططا مبهرجا وقلادة مصنوعة من مادة السيليلويد وربطة عنق طويلة متدلية وسلسلة معدنية موصلة بساعة تتدلى من جيبه. ترأس كل مبيعات الأوسيج وجعله اللقب الذي أعطاه له الكولونيل

يبدو مثل محارب قديم في الحرب العالمية الأولى. في الحقيقة كان هذا اللقب جزءا من إسمه عند تعميده وهو الكولونيل ايلسورس إي. والترس. رجل إستعراض، فقد حمس المزايدين بأقواله الشعبية مثل:"هيا أيها الأولاد، هذه القطة البرية العجوز قابلة لأن تنجب الكثير من القطط."

ولأن عقود إيجارات النفط الأقل قيمة يتم تقديمها أولا، فإن البارونات يتريثون ف الخلف تاركين المزايدة الأولية للأقل ثراء منهم. ذكر جين باول غيتي الذي شهد العديد من مزادات الأوسيج. كيف أن عقد إيجار نفط واحد يمكن أن يغير مصير الفرد: "لم يكن من غير المألوف لمنقب معدم، وصولا لقطعته الأخيرة دون سيولة أو قرض إئتماني الذي بواسطته يمكنه شراء المزيد، ول... جلب بئرا تجعله ثريا." وفي ذات الوقت، فإن عرضا خاطئ قد يؤدي إلى الإفلاس: "تصنع ثروات وتضيع يوميا."

كان رجال النفط يشعرون بقلق شديد حيال الخرائط الجيلوجية. وحاولوا جمع معلومات عن عقودات الإيجارات بواسطة رجال قد قاموا بتوظيفهم "كمتعقبين" وجواسيس. بعد إستراحة الغداء، إنتقل المزاد لعقود إيجار أكثر قيمة، فحتما تحولت نظرة الحشد نحو قطارات النفط التي تنافس قوتها وإن لم تكن تجاوز قوة السكك الحديدية وبارونات القرن التاسع عشر الأقوياء. بدأ بعضهم بإستخدام نفوذهم لتثبيت مسار التاريخ. في عام 1920 ساعد سينكلير و مارلاند وبعض من رجال النفط في تمويل مناقصة وارن هارينغ. وأخبر أحد رجال النفط من أوكلاهوما صديقا له، أن ترشيح هاردينغ قد كلفه هو ومصالحه مليون دولارا. ولكن مع هارينغ في البيت الأبيض، لاحظ أحد المؤرخين: "أن رجال النفط يلعقون لحومهم." قام سينكلير بتمرير أكثر من2000،000 دولارا عبرغطاء شركة وهمية تعود لوزير الداخلية الجديد آلبرت بي. فال، وأرسل أيضا رجل نفط آخر مع ابنه 1000،000دولار في حقيبة سوداء.

وفي المقابل، سمح الوزير للبارونات الإستفادة من إحتياطات النفط القيمة. حصل سينكلير على عقد إيجار خاص لأرض وايومينغ التي كانت تعرف بإسم تي توب نسبة لأنها تشبه شكل صخرة من الحجر الرملي بالقرب منها. حذر رئيس ستاندرد أويل المعاون السابق لحملة هاردينغ قائلا: "أفهم أن وزارة الداخلية على وشك إغلاق عقد الإيجار تي توب دوم وذلك عبر رائحة الصناعة التي تنبعث منها... أدرك تماما أن عليك إخبار الرئيس بأن تلك *الرائحة* تنبعث منها."

لم تكن الرشوة المدفوعة معروفة بعد للعامة. إتجه البارونات صوب مقدمة شجرة المليون دولار وكانوا يعاملون كأمراء النظام الرأسمالي الذين تتفرق الحشود أمامهم. تحدث أحيانا بعض المشاحنات أثناء

عروض المزايدة حول حقول النفط، وذات مرة بدأ فرانك فيليبس و بيل سكيلي بالقتال وتدحرجوا على الأرض كالراكون المسعور، عندما أومأ سينكلير للكولونيل وخرجا منتصران مع عقد الإيجار. قال صحفي: "لم يشهد قدامى المحاربين في سوق نيويورك للأوراق المالية تزاحم ملفت للإنسان أكثر من كفاح مجموعة من رجال النفط والشهرة الوطنية في الولاية يرمون أنفسهم في المعركة لإختيار قطعة أرض."

=

في 18يناير عام 1923، بعد خمسة أشهر بعد جريمة قتل ماكبرايد، إجتمع العديد من رجال النفط الكبار لمزاد آخر في مسرح قاعة القسطنطينية في بوهوسكا التي وصفت بأنها"المبنى الأروع من نوعه في أوكلاهوما" بسبب فصل الشتاء. يتميز المسرح بالأعمدة والجداريات اليونانية وسلسلة من الأضواء حول المنصة. وكالمعتاد إفتتح الكولونيل المزاد بعقودات الإيجار الأقل قيمة. ونادى:"ماذا أعرض؟ تذكروا؛ لا تباع أراضي بسعر أقل من خمسمائة دولارا." أتى صوت من الجماهير: "خمسمائة." قال الكولونيل:" العرض لخمسمائة، من سيجعله ستمائة؟ الخمسة تصبح ستة... خمسة . ستة، خمسة ... ستة . شكرا لك . ستة الآن سبعة، ستة الآن سبعة.. بيعت لهذا السيد مقابل ستمائة دولارا."

طوال اليوم، إرتفعت قيمة عروض أسعار الأراضي الجديدة من عشرة آلاف إلى خمسون ألفا ثم مائة ألف.

قال الكولونيل ساخرا: " وول ستريت تستيقظ."

تم بيع الأرضر رقم13 بأكثر من 6000،000 دولارا لسينكلير.

أخذ الكولونيل نفسا عميقا وقال. " الأرضر رقم14 التي تقع وسط حقل بيربانك الغني."

صمت الجميع ثم جاء صوت متواضع من وسط الحشد في منتصف القاعة: "نصف مليون." كان هذا صوت ممثل شركة قيسبي أويل الذي كان يجلس و بحوزته خريطة مفرودة على ركبتيه لا ينظر فيها بينما يتحدث.

سأل الكولونيل: "من سيجعلها ستمائة ألف؟"

كان الكولونيل معروفا بمقدرته حتى على إكتشاف أقل إيماءة أو لفتة من مقدمي العروض. فذات مرة في أحد المزادات، إستخدم فرانك فيليبس و أحد أخوته إشارات غير محسوسة تقريبا .كرفع حاجب أو نقرة سيجار. قال فيليبس مازحا أن أخاه قد كلفهم في مرة واحدة 100،000 دولارا بسبب سحقه لذبابة.

عرف الكولونيل جمهوره جيدا، وأشار إلى رجل ذي شعر رمادي يضع سيجارة غير مشتعلة بين أسنانه. كان يمثل مجموعة من المصالح التي تضمنت فرانك فيليبس و سكيلي . الأعداء القدامى الآن حلفاء. أومأ الرجل ذو الشعر الرمادي إيماءة تكاد لا ترى تقريبا.

صاح الكولونيل بسرعة مشيرا لمقدم العرض الأول: "سبعمائة." و إيماءة أخرى، قال الكولونيل: "ثمانمائة."

عاد لمقدم العرض الأول، الرجل صاحب الخريطة الذي قال: "تسعمائة."

إيماءة أخرى من الرجل ذي الشعر الرمادي صاحب السيجارة غير المشتعلة. وقال الكولونيل متمتما وكأنما عقد لسانه: "مليون دولارا."

مازالت العروض تستمر بالإرتفاع. قال الكولونيل: "أحد عشر ألفا الآن اثنا عشر، أحد عشر . إثنا عشر . الآن إثنا عشر."

أخيرا، لم يتحدث أحد. حدق الكولونيل في الرجل ذي الشعر الرمادي الذي كان لا يزال يعض على السيجارة غير المشتعلة. و أشار صحفي في القاعة: "يتمنى المرء المزيد من الهواء."

قال الكولونيل: "هؤلاء رجال بيربانك، لا تغفل عن يديك."

لم يتحرك أحد أو يلفظ بكلمة.

صرخ الكولونيل: "بيعت! بمليون ومائة ألف دولارا."

يبدو أن كل مزاد جديد يتفوق على الذي قبله بتسجيله أعلى عرض فردي ومجموع الملايين التي تجمع. تم بيع عقد إيجار واحد لما يقارب 2 مليون دولارا في حين أن أعلى إجمالي تم جمعه في مزاد بلغ ما يقارب 14 مليون دولارا. كتب صحفي من *مجلة هاربرس* الشهرية: "أين سينتهي؟ في كل مرة تحفر فيها بئر جديدة يصبح الهنود أكثر غنى." وأضاف: "أصبح الهنود الأوسيج أغنياء جدا يجب القيام بشيء حيال هذا الأمر."

=

تزايد عدد الأمريكيون الذين عبروا عن خوفهم من ثراء الأوسيج ـ الرعب الذي أشعلته الصحافة. روى صحفيون قصصا محاكة بعنف عن الأوسيج الذين تركوا البيانو الكبير على مروجهم أو قاموا بإستبدال السيارات القديمة بأخرى جديدة بعد حصولهم على إطار مخروق. كتبت *مجلة ترافيل*: "الهنود الأوسيج اليوم هم أمراء الإنفاق. بالحكم إرتجاليا، الإبن المسرف كان ببساطة شخص مقتصد وولع فطريا." جاء في خطاب يحمل وجهة نظر محرر مجلة *اندبندنت* الإسبوعية مشيرا فيه أن فرد الأوسيج المثالي بإعتباره جيد مقابل لاشيء يحصل على ثروة "لمجرد أن الحكومة لسؤ الحظ وضعته على أرض النفط التي طورناها نحن البيض له." وذكر جون جوزيف بسخرية للصحفيين قائلا: "تمتعوا بتأثير الثروة الغريب على رجال هذا العصر الحديث وعجرفة وحكمة غير المتعلمين."

نادرا ما تذكر الحسابات إن وجدت، أن العديد من الأوسيج قد إستثمروا أموالهم بمهارة أو أن بعض الإنفاق من قبل الأوسيج ربما كان يعكس عادات الأسلاف التي ربطت بين عروض الكرم الرفيعة والمكانة القبلية. وبالتأكيد خلال صخب العشرينات، الوقت الذي أطلق عليه إف. سكوت فيتزجرارلد: "أعظم وأمتع فترة في التاريخ." لم يكن الأوسيج وحدهم في إسرافهم. فقد كان مارلاند بارون النفط الذي إكتشف حقل بيربانك قد بنى قصرا مكونا من إثنين وعشرين غرفة في مدينة بونكا ثم هجره من أجل واحد أكبر بتصميم داخلي على طراز قصر بالازو دافينشي في القرن الرابع عشر في فلورنسا، كان المنزل يضم خمسة وخمسين غرفة (بما في ذلك قاعة رقص بسقف مراين برقائق من الذهب وثريات كريستال من وترفورد،) وإثني عشر حمام وسبع مدافيء وثلاثة مطابخ ومصعد مبطن بجلد الجاموس. يحتوي الطابق الأرضي على حمام سباحة وساحات للعب كرة الماء و ملعب جولف وخمس بحيرات مع جزر. عندما كان السؤال عن هذا الإسراف، أجاب مارلاند معتزرا: "بالنسبة لي، كان الغرض من المال هو الشراء والبناء، وهذا ما فعلته. فإذا كان هذا ما عنوه فأنا مذنب." ومع ذلك خلال بضع سنوات فقط، كان قد أفلس تماما لدرجة أنه لم يستطع تحمل فاتورة الإضاءة مما إضطره لإخلاء قصره. وبعد قضاءه فترة في السياسة حاول إكتشاف حقل نفط آخر ولكن باءت محاولته بالفشل. ذكر مهندسه المعماري: "في آخر مرة رأيته فيها، أعتقد أنه كان يجلس على بعض البراميل الثابتة من نوعها هناك خارج شمال شرق المدينة. وكانت السماء تمطر وكان يرتدي معطفا وقبعة واقية من المطر. لكنه كان يجلس مكتئبا وكان هناك إثنين أو ثلاثة رجال ينقبون بآلات التنقيب المتنقلة آملين في العثور على النفط. لذلك، هممت خارجا مع غصة في حلقي ودموع في عيني." وسرعان ما أحرق رجل نفط آخر في أوكلاهوما 50مليون دولارا وآل به المطاف الى الفقر.

العديد من الأوسيج، على عكس الأمركيين الأغنياء الآخرين لايستطيعون إنفاق أموالهم كما يحلو لهم بسبب النظام المالي الإتحادي المفروض على الأوصياء. (زعم أحد الأوصياء أن فردا بالغا من الأوسيج كان مثل "طفل عمره ست أو ثماني سنوات، كلما رأى لعبة جديدة أراد شراءها.") أمر القانون بأن الأوصياء الذين تم تعيينهم لأي هندي أمريكي بواسطة الشؤون الداخلية أ'عتبروا "غير مؤهلين" عمليا، عين القرار وصيا . لتقديم أمريكي هندي، في الحقيقة، نصف مواطن . فقد كان دائما مبني على أساس الأصل لحاملي الملكية أو ما أشار إليه قاضي المحكمة العليا في الولاية بأنه "نقص عنصري." يتم تعيين هندي أمريكي ذو أصل هندي كوصي ثابت، بينما نادرا ما يكون نصف هندي. ناشد جون

بالمر . نصف سيوكس . الإبن اليتيم الذي تبنته عائلة من الأوسيج والذي لعب دورا مهما في الحفاظ على حقوق القبيلة من المعان قائلا لأعضاء لجنة الكونغرس: "لا تدعوا البيض أو الهنود يحددون الكمية التي يأخذونها من أفراد القبيلة. ليس من المهم عدد ذوي الدم الهندي. وأنتم أيها السادة لا تتعاملوا مع أشياء من هذا القبيل."

حتما، مثل هذه المناشدات كان يتم تجاهلها وكان أعضاء الكونغرس يجتمعون في قاعات اللجان ذات الألواح الخشبية يقضون ساعات في دراسة تفاصيل الأوسيج بدقة لما كان أمن البلاد على المحك. في جلسة إستماع للجنة فرعية بمجلس النواب في عام 1920 قام النواب بتمشيط من خلال تقرير من مفتش حكومي الذي قد تم إرساله للتحقيق في عادات سلوك إنفاق القبيلة بمن فيهم أسرة مولي. نوه المحقق بإستياء واضح عن فاتورة بمبلغ 319.05دولارا كانت قد أنفقتها والدة مولي وليزي في متجر الجزارة قبل وفاتها.

أصر المحقق على أن الشيطان كان يسيطر على الحكومة عندما تفاوضت حول إتفاقية حقوق النفط مع القبيلة. وقال بغضب شديد في تصريح له: "لقد زرت وعملت في معظم مدن بلدنا، وأنا أكثر أو أقل دراية بميزاتهم و إبتلاءاتهم وقذارة ظلمهم. ومع ذلك لم أبد أي تقدير لقصة سودوم و قمورة التي أثبتت خطيئتها و رذيلتها خرابهم وسقوطهم حتى زرت هذه الأمة الهندية."

ناشد الكونغرس لإتخاذ المزيد من الإجراءات. "كل رجل أبيض في دولة الأوسيج سيخبرك أن الهنود الآن يتقدمون بشكل مخيف،" وأضاف: "لقد أتى اليوم الذي يجب أن نبدأ فيه حصرنا لهذه الأموال أو إبعاد عن قلوبنا وضمائرنا أي أمل لدينا لبناء هندي الأوسيج لمواطن أصيل."

حاول القليل من أعضاء الكونغرس وبعض الشهود تخفيف تقديم الأوسيج ككبش فداء. وفي جلسة لاحقة، حتى القاضي الذي عمل كوصي، إعترف بأن الهنود الأثرياء لا ينفقون ثروتهم بشكل مختلف عما فعله البيض بالمال أيضا. وقال: "هنالك قدر كبير من الإنسانية في هؤلاء الأوسيج." وناقش هال أيضا أنه لا ينبغي للحكومة أن تملي أوامرها على قرارات الأوسيج المالية.

لكن في عام 1921، مثلما تبنت الحكومة نظام الحصص التموينية مرة واحدة لدفع الأوسيج للأراضي التي تم الإستيلاء عليها . كما يبدو فقط دائما لتغيير ثقافة عقيدتها بالإكراه . قام الكونغرس بتنفيذ تشريعات أكثر قسوة تتحكم في كيفية إنفاق الأوسيج لأموالهم. لن يواصل الأوصياء الإشراف على وصياتهم المالية؛ فبموجب القانون الجديد، هؤلاء الهنود الأوسيج مع الأوصياء "مقيدون" أيضا، مما يعني أن كل فرد منهم لا يستطيع أن يسحب أكثر من بضعة آلاف دولارا سنويا من صندوقه الإئتماني. فليس من المهم ما إذا كان هؤلاء الأوسيج بحاجة إلى أموالهم، على سبيل المثال: ليدفعوا للتعليم أو دفع فواتير

مستشفى طفلهم المريض. أوضح آخر زعيم مورث للقبيلة الذي كان في الثمانينات من عمره في بيان أصدره للصحافة: "لدينا الكثير من الأطفال الصغار، نريد أن نربيهم و نعلمهم و نريد أن يكونوا مرتاحين ونحن لا نريد أن تكون أموالنا محتجزة عنا من قبل شخص لا يهمه أمرنا." وتابع قائلا: "نريد أموالنا الآن، لدينا المال وهو ملكنا ولا نريد لرجل أن يحتجزه ولا نستطيع إستخدامه.... إنه لظلم لنا جميعا. لا نريد أن نعامل كالأطفال فنحن رجال وقادرون على رعاية أنفسنا." ومثل الأوسيج الأصليين كانت مولي من بين أولئك الذين أحتجزت أموالهم على الرغم من أن زوجها ايرنست كان هو الوصي عليها.

لم تكن الحكومة الفيدرالية وحدها من تتدخل في الشؤون المالية للقبيلة. حسب ما جاء في شكوى قدمها أحد أفراد القبيلة في إجتماع المجلس، فقد وجد الأوسيج محاطين بأشخاص "كسرب من الوحوش" يريدون نهبهم. سعى موظفو الدولة المرتشين لسلب ثروات الأوسيج. فقد كان النهابون في الخارج متأهبين لنهب حساباتهم المصرفية. طالب التجار أن يدفع الأوسيج "خاصة" مما يعني هذا تضخم الأسعار. حاول المحاسبون و المحامون عديمو الضمير إستغلال حالة الأوسيج المالية الغير مستقرة. حتى أنه كانت إمرأة من البيض تبلغ من العمر ثلاثين عاما في ولاية أوريجون، بإرسال خطابا للقبيلة طالبة فيه الزواج من أوسيجي غني: "هلا أخبرت أغنى هندي تعرفه و سيجدني أحسن وأصدق كما يكون أي إنسان."

في إحدى جلسات إستماع مجلس الشيوخ، شهد قائد آخر من الأوسيج يدعى باكون ريند أن البيض قد قاموا بجمعنا هنا إلى الغابات الغير مأهولة عند أقسى جزء في الولايات المتحدة معتقدين: "أننا سنقود هؤلاء الهنود إلى حيث يوجد تراكم كبير من الصخور و وضعهم هناك عند تلك الزاوية." والآن بعد أن تحولت كومة الصخور تلك إلى ملايين الدولارات، قال: " الكل يريد الدخول إلى هنا والحصول على بعض من هذه الأموال."

7.... هذا شيء من الظلام

في أول أيام من شهر فبراير عام1923، تحولت حالة الطقس إلى برد قارص. عبرت الرياح الثلجية السهول وعصفت بالأودية وكسرت فروع الأشجار. أصبحت البراري قاسية كالحجر وإختفت الطيور من السماء وبدت الشمس المشرقة باهتة وبعيدة. في أحد الأيام، خرج رجلان للصيد على بعد أربعة أميال شمال غرب فايرفاكس فرأوا سيارة عند أسفل المنطقة الصخرية. وبدلا من الإقتراب منها، عاد الصيادان إلى فايرفاكس وقاموا بتبليغ السلطات وذهب نائب الشرطة ومدير شرطة المدينة للتحقيق. وبكل شجاعة مشوا سفح منحدر وعر نحو المركبة. كانت ستائر السيارات في ذلك الوقت تحجب النوافذ في كثير من الأحيان وكانت السيارة التي تسمى بويك تشبه النعش الأسود. وعلى جانب السائق توجد هناك فتحة صغيرة في الستارة التي من خلالها تمكن الضابط المناوب رؤية رجل مستلقيا خلف المقود. فقال: "لابد من أنه كان مخمورا." ولكن عندما قام بفتح باب السائق بقوة، رأى دما على المقعد والأرض. فقد أصيب الرجل برصاصة قاتلة في مؤخرة رأسه. إستبعدت زاوية الطلقة إلى جانب عدم وجود بندقية معه حقيقة الإنتحار. وذكر الضابط لاحقا: "أعتقد أنه قد تم إغتياله."

منذ جريمة قتل رجل النفط ماكبرايد الوحشية، مرّ ما يقارب الستة أشهر دون إكتشاف جريمة قتل أخرى مشبوهة. ومع ذلك بينما كان رجلا الشرطة يحدقان في الرجل داخل السيارة، أدركا أن القتل لم يتوقف بعد كل هذا. تحنطت الجثة بسبب البرد. وفي هذه المرة لم يجد الضابطان أي صعوبة في تحديد هوية الضحية؛ فقد كان هنري روان الهندي الأوسيجي البالغ من العمر أربعين عاما والذي كان متزوجا ولديه طفلان. كان في السابق يربط شعره دائما ضفيرتين طويلتين قبل أن يجبر على قصه عندما كان في المدرسة الداخلية. برغم قصه للضفائر ودفنه في السيارة . أثار وجهه الطويل الوسيم وجسمه النحيف الطويل مظاهر محاربي الأوسيج.

عاد رجلا القانون إلى فايرفاكس حيث أبلغوا عدالة السلام. كما تأكدوا من أن هال قد بلغ أيضا، بإعتباره عمدة فايرفاكس: "أعتبر أن دبليو.كي.هال أفضل صديق له." كان راون واحدا من الهنود الأوسيج الحقيقيين الذين تم إنقاص بدلهم المالي رسميا، وكان يقترض المال من صديقه هال في أغلب

الأحيان. وذكر هال فيما بعد: "لقد كنا صديقين مقربين وكان يطلب يد العون مني عندما يقع في مأذق،" مضيفا أنه قد أعطى صديقه الكثير من القروض حتى أن روان قد أدرجه في قائمة المستفيدين من بوليصة التأمين خاصته التي تبلغ 25.000 ألف دولارا.

قبل إسبوعين من وفاته، كان روان قد إتصل بهال مضطربا، فقد علم أن زوجته على علاقة غرامية مع رجل يدعى روي بنش. فذهب هال لزيارته محاولا مواساته.

بعد عدة أيام، اصطدم هال براون في البنك وسط مدينة فايرفاكس. فسأله راون إذا كان بإمكانه أن يقرضه بضعة دولارات؛ فقد كان لايزال مكتئبا بسبب زوجته، ويريد أن يحتسي مشروبا. فنصحه بعدم شراء أي نوع من الويسكي فقال: "هنري، أنت أفضل من ذلك إنه يضرك." وحذره من أن رجال سلطة مكافحة الخمر "سيوقعون به."

فقال روان: "لن أحضر أي نوع منها إلى المدينة، سأخفيها بعيدا."

إختفى راون بعد ذلك حتى ظهرت جثته.

بدأت مراسم الجنازة مرة أخرى. عاد الضابط والمارشال إلى الوادي وكان بصحبتهم هال أيضا وبعد ذلك حل الظلام على مسرح الجريمة وقام الرجال بصف مركباتهم على الوادي وأضاءوا مصابيحهم الأمامية نحو الأسفل . فيما أسماه أحد الضباط: "وادي الموت، حقا."

بقى هال على قمة التل وشاهد بدء مجريات التحقيق. كان الرجال يتحركون داخل وخارج رسم سيارة بويك البياني. وأستنتج الطبيب أحد من الإخوة شون أن وقت الوفاة كان قبل حوالي عشرة أيام. ولاحظ الضباط وضع جسد روان . "كانت يداه ملفوفة على صدره ورأسه على المقعد ـ وكيف أن الرصاصة قد دخلت عبر عينه اليمنى وخرجت وكسرت الزجاج الأمامي. فلاحظو الزجاج المكسور المتناثر على غطاء محرك السيارة وعلى جانب الأرض. ولاحظوا الأشياء التي كان يحملها أيضا: "20دولارا ورقية ودولاران فضيان و... ساعة ذهبية." ولاحظ الضباط آثار عجلات السيارة على الطين المتجمد تعود لسيارة أخرى على الأرجح أنها سيارة الجاني.

إن كلمة القتل أشعلت شعور الفزع المروع. فقد صادف أن *رئيس الأوسيج* . الذي كان في نفس المشكله يحمل الثناء لإبراهام لينكولين كنموذج إلهامي للأمريكيين . علي صفحته الأولي بعنوان، إصابة هنري روان علي أيدي مجهولة.

صدمت الأخبار مولي. فقبل أكثر من عقد من الزمان قبل لقاء إيرنست كانت هي وروان متزوجين لفتره قصيره. وكانت هناك القليل من الروايات المتبقيه تحمل تفاصيل العلاقة. ولكنه كان كالزواج المبدبر فقد كانت مولي في ذلك الوقت في . الخامسة عشر من عمرها . أجبرا معا للحفاظ علي طريقة الحياة الزائلة. ولأن الزواج قد تم التعاقد عليه وفقا لعادات عرف الأوسيج، فلم يكن هناك داعي للطلاق القانوني وببساطه ذهب كل واحد منهما لحال سبيله. ومع ذلك، ظلا محتفظان بذكرى حميمة عابره إنتهت علي ما يبدو بدون ألم وربما بعد الدفء المخبأ.

خرج العديد من الناس في جنازة روان ورنم كبار الأوسيج الترانييم المعتاده للموتي والآن فقط بدت الترانيم للأحياء ولأولئك الذين تحملو عالم القتل هذا. عمل هال مجددا في الكنيسه كحامل للنعش، حمل نعش صديقه عاليا وتم ترديد إحدى قصائده المفضله في مراسم ترانيم الجنازة:

يخطئ حكم الانسان ولكن هناك من "يفعل كل الأشياء جيدا ."

في أي وقت مضى، طوال رحلة الحياة تبقى هذه القاعده في الإعتبار:

"أحسن إلى الأخرين كما تريد أن يحسنوا لك."

كانت مولي دائما ما تساعد السلطات، ولكن عندما بدأوا التحقيق في موت روان أصبحت تشعر بعدم الإرتياح. فقد كانت تعيش بطريقتها الخاصة نتاجا لروح البناء الذاتي الأمريكي. فقد رتبت تفاصيل ماضيها بالطريقة التي رتبت بها منزلها ولم تخبر إيرنست زوجها الثاني الغيور غريزيا عن زواج الأوسيج المدبر من راون. كان إيرنست داعما لمولي خلال هذه الأوقات العصيبة وقد رزقا مؤخرا بطفلتهما الثالثة التي أسمياها آنا. إذا تركت مولي السلطات تعلم بالصلة التي تربطها بروان، فسيتعين عليها لا محالة أن تعترف لإيرنست بأنها قد خدعته طوال هذه السنوات ولذلك قررت أن لا تتفوه بكلمة واحدة لزوجها أو للسلطات. فلدى مولي أسرارها أيضا.

=

بعد وفاة روان، بدأ ظهور المصابيح الكهربائية خارج منازل الأوسيج متدلية من الأسطح و النوافذ وجوانب الأبواب الخلفية. تتوهج أنوارهم في جوف الظلام. لاحظ أحد الصحفيون في أوكلاهوما، وقال: "سافر إلى أي اتجاه تريده من بوهوسكا و حتما ستلاحظ في الظلام منازل الهنود الأوسيج التي تتزين بالأضواء الكهربائية والتي يمكن لأي غريب في البلاد أن يستنتج أنها عرض تفاخري للثروة النفطية. ولكن الأضواء قد أحرقت كما يعرف أي أوسيج؛ كحماية ضد الإقتراب الخفي للشبح الشرس ـ اليد المجهولة . التي طرحت خرابا على أرض الأوسيج وحولت الفدادين الواسعة التي كانت تعتبرها القبائل

الهندية الأخرى جنة الأرض، إلى غلوغسا ومقبرة لجثث الإنسان.... فأصبح السؤال الدائم في أرض الأوسيج هو، 'من ستكون الضحية القادمة؟'"

لقد خلقت جرائم القتل مناخا من الرعب الذي إلتهم المجتمع. إشتبه الناس في جيرانهم وأصدقائهم. قالت أرملة تشارلس وايتهورن أنها على يقين أن نفس الأطراف التي قد قتلت زوجها، ستنال منها هي الأخرى قريبا. وذكر زائرا يمكث في فاير فاكس فيما بعد أنه تم التغلب على الناس من خلال قناع مظلم يسمى "الخوف العاجز." ولاحظ صحفي أن "ظلام حالك من الغموض والرهبة... قد كسا أودية النفط اللامعة في تلال الأوسيج."

على الرغم من تزايد المخاطر، سارعت مولي وعائلتها البحث عن القتلة. وثق بيل سميث بالعديد من الناس أنه كان "متحمسا" بعمله مع المباحث. وفي إحدى الليالي كان مع ريتا في منزلهما في منطقة معزولة خارج فايرفاكس وإعتقدا أنهما قد سمعا شيئا يتحرك حول محيط المنزل. ثم توقف الصوت، أيا كان ومن كان فقد إختفى. وبعد بضع ليال سمع بيل وريتا حركة مرة أخرى. متطفلون . أجل لابد من أنهم هم . في الخارج أثاروا جلبة ثم أختفوا. أخبر بيل صديقا أن "ريتا خائفة" ويبدو أن بيل قد فقد ثقته.

بعد أقل من شهر من وفاة روان، فرّ بيل وريتا من منزلهما تاركين وراءهما ممتلكاتهما. إنتقلوا إلى منزل أنيق من طابقين مع شرفة ومرآب بالقرب من وسط فايرفاكس (إشترا هذا المنزل من الطبيب شون الذي كان صديقا مقربا لبيل.) كان العديد من الجيران لديهم كلاب حراسة تقوم بالنباح على أي صوت غريب. أخبر بيل صديقا: "الآن وقد إنتقلنا لمنزل جديد قد يدعوننا وشأننا."

لم يمض وقت طويل منذ إنتقالهم، أتى رجل عند باب سميث وأخبر بيل أنه قد سمع أنه كان يبيع بعض الأراضي الزراعية. فأخبره بيل بأنه مخطيء. لاحظ بيل أن الرجل قد ألقى نظرة فاحصة عليه تبدو كنظرة المجرمين وإستمر في النظر على المنزل ويكأنه يقوم بتفحصه.

في بداية شهر مارس بدأت الكلاب في الحي تموت واحدا تلو الآخر، ويتم العثور على جثثها ملقاة على عتبات الأبواب وفي الشوارع. كان بيل على يقين أنها قد سممت. ووجد نفسه وريتا تحت رحمة صمت وتوتر شديد وقد أقنع صديقا أنه "لايتوقع أن يعيش طويلا."

في 9مارس كانت الرياح عاتية، قاد بيل مع صديق له إلى مزرعة هينري قرامر التي تقع في الحافة الغربية للمقاطعة. أخبر بيل صديقه أنه يحتاج مشروبا لكن بيل كان يعلم أن قرامر الذي أطلق

عليه *رئيس الأوسيج* لقب "الشخصية الأكثر شهرة في المقاطعة،" كان يملك أسرار ويسيطر على عالم غير مرئي. كان تحقيق روان قد أدى إلى إكتشاف واحد قبل إختفاءه قال أنه ذاهب لإحضار ويسكي من مزرعة قرامر . المكان نفسه، صدفة أولا حيث كانت آنا شقيقة مولي تجلب شرابها أيضا.

كان قرامر نجم رعاة البقر والذي قام بتقديم أداء رائعا في ماريسون سكوير قراند وتوّج ببطولة العالم لترويض الثيران. وكان يزعم أنه من سارقي القطارات أيضا وأهم قاتل محترف فذ ذو صلات بكنساس سيتي موب. بدا النظام القانوني النافذ غير قادر على كبح جماحه. ففي عام 1904، في مونتانا قام بإطلاق النار على راعي أغنام لكنه لم يحكم عليه بالسجن سوى لثلاث سنوات وفي حادثة لاحقة، في مقاطعة الأوسيج جاء رجل إلى مشفى وهو ينزف جراء طلق ناري يئن "سأموت سأموت،" مشيرا قبل أن يغمى عليه أن قرامر هو من قام بإطلاق النار عليه ولكن بعد أن عاد إلى وعيه وأدرك أنه لم يصعد للسماء . على الأقل ليس في الوقت القريب . أصر أنه ليست لديه أية فكرة عن مطلق النار. بينما كانت إمبراطورية قرامر الغير قانونية تكبر، قام بفرض هيمنته على جيش قطاع الطرق. الذين كان من بينهم آسا كيربي الرجل اللص صاحب السن الأمامية اللامعة وجون رامسي سارق الأبقار الذي بدا أقل شرا من رجال قرامر الأشرار.

وصل بيل وصديقه إلى مزرعة قرامر مع بداية حلول الظلام. كانت أمامها منزل خشبي كبير وحظيرة. وكانت مخبأة بين الغابات المحيطة خمسمائة جالون نحاسي. فقد قام قرامر بتأسيس محطة توليد كهربائي خاصة به حيث يمكن لرجاله العمل طوال النهار والليل ـ لم تعد هناك حاجة لضوء القمر الخفي لصنع خمر الموون شاين.

وجدوا أن قرامر كان بعيدا. طلب بيل من أحد العمال العديد من جرات الويسكي. فأخذ رشفة كبيرة. وفي مرعى بالجوار، كانت أحصنة قرامر الفريدة تتجول في كثير من الأحيان فكان من السهل على بيل سارق الأحصنة أن يسرق واحدا ويختفي. شرب بيل القليل أكثر ثم قاد عائدا هو وصديقه إلى فايرفاكس مرورا بالمصابيح المتدلية . كما أطلقوا عليها الأضواء الرقيقة . التي تهتز بالرياح.

أنزل بيل صديقه وعندما وصل إلى المنزل قام بإيقاف سيارته الإستيدبيكر داخل المرآب. و كانت ريتا في المنزل برفقة نيتتي بروك شاير الخادمة البيضاء التي تبلغ من العمر تسعة عشر عاما والتي دائما ما تبقى معها في الغالب.

سرعان ما ذهبا إلى النوم. وقبل الساعة الثالثة بقليل، سمع رجل يسكن في الجوار دويّ إنفجار قوي. كانت قوة الإنفجار تنتشر في الحي والأشجار المنثنية وعلامات الإرشاد وحتى النوافذ المغلقة. ففي فندق فايرفاكس كان الحارس الليلي يجلس بجوار النافذة عندما إنهار عليه الزجاج وتناثر على الأرض. وفي غرفة أخرى من الفندق إندفع أحد النزلاء للوراء. وقريبا من الإنفجار، تحطمت أبواب المنازل إلى أشلاء وتهشمت القواعد الخشبية كالعظام. كتب أحد الشهود الذي كان صبيا آنذاك في وقت لاحق: "يبدو أن تلك الليلة لن تتوقف أبدا عن الإهتزاز." شعرت مولي وإيرنست بالإنفجار أيضا. وذكر إيرنست فيما بعد: "لقد هزّ كل شيء، ففي أول الأمر إعتقدت أنها مجرد عاصفة." خافت مولي فنهضت وذهبت نحو النافذة وتمكنت من رؤية شيئا يحترق في الأفق البعيدة، وكأن الشمس قد إنبزغت بقوة داخل الليل. ذهب إيرنست إلى النافذة ووقف هناك معها وكانا الإثنان ينظرا خارجا نحو ذلك اللمعان الغريب.

قام إيرنست بإرتداء بنطاله بسرعة وهرع خارجا. كان الناس يمشون بإضطراب من منازلهم مترنحين و مذعورين حاملين فوانيسهم و يطلقون النار في الهواء كإشارة تحذيرية ومناداة للآخرين للإنضمام للجموع الغفيرة التي تزداد كالموكب . تدفق الناس متحركين على الأقدام والسيارات نحو جهة الإنفجار. وكلما إقتربوا أكثر، قاموا بالصراخ: "إنه منزل بيل سميث، إنه منزل بيل سميث!" لم يعد هناك منزل قط. لاشيء سوى أكوام من العصي المتفحمة وقطع معدنية ملتوية وأثاث ممزق إربا كان قد إشتراه بيل وريتا قبل أيام فقط من شركة بيق هيل التجارية وقطع قماش من أسّرة معلقة بأسلاك الهاتف وأنقاض مدمرة عائمة في الهواء الأسود السام. وحتى سيارة الإستيدبيكر لم تنجو من الإنفجار فقد دمرت تماما. قال شاهد واصفا الإنفجار: "أنه بدا ك.... لا أعلم ماذا." فمن الواضح وكأنما قام أحد ما بزرع قنبلة تحت المنزل وقام بتفجيرها.

إلتهمت النار باقي الأجزاء المتبقية من المنزل وتبخرت بسرعة عاليا في السماء كسحابة نارية. قام رجال الإطفاء المتطوعين بحمل الماء من الآبار محاولين إخماد الحريق وكان هناك اناس آخرون يقومون بالبحث عن بيل وريتا ونيتتي. صرخ أحد المنقذين: "تعالوا أيها الرجال، توجد إمرأة هنا."

إنضت عدالة السلام إلى البحث أيضا وكذلك ماثيز والإخوة شون. حتى قبل العثور على الجثث ، وصل متعهد دفن شركة بيل هيل التجارية مع عربة النعش وكذلك فعل متعهد منافس نفس الشيء وحام الإثنان حول المكان كالطيور المفترسة.

قام الباحثون بإجلاء الحطام. ولأن شون كان مالك المنزل ذات مرة، فإنه يعلم مكان الغرفة الرئيسية. قام بالبحث في الجوار وعندما سمع صوت ينادي وإستطاع الآخرون سماعة أيضا برغم أنه كان ضعيفا، إلا أنه كان واضحا: "النجدة.. النجدة!" أشار أحد الباحثين إلى كومة كامنة فوق الصوت. أطفأ رجال الإطفاء مكان النار بالماء ووسط الدخان المتصاعد بدأ كل واحد بحمل الأنقاض بعيدا. وبينما هم يعملون، إرتفع الصوت عاليا فوق صوت صرير سحب الحطام. وأخيرا بدأ وجه أسود مشوه بالظهور. لقد كان بيل سميث. كان ملتويا بسريره وكانت ساقيه محترقة بشكل لا يمكن تمييزه وكذلك ظهره ويديه. ذكر ديفيد شون فيما بعد أنه على مر كل هذه السنين كطبيب، لم ير أبدا رجلا في مثل هذه المعاناة فقد كان: "يتلوى وكان في حالة مذرية وبائسة." حاول جيمس شون أن يواسي بيل فقال له: "لن أدعك تعاني."

وبينما كانت مجموعة من الرجال تقوم بإزالة الحطام، إستطاعوا أن يروا ريتا ملقاة بجانبه مرتدية لباس نومها. لم يكن وجهها متضررا وكانت تبدو كما ولو أنها نائمة في سلام وتحلم. ولكن عندما قاموا برفعها وجدوا أن هناك كسر في مؤخرة رأسها وفاضت روحها جراءه. عندما أدرك بيل ذلك؛ أن ريتا قد توفيت صرخ باكيا وكرر: "ماتت ريتا." وأخبر صديقا كان هناك "إذا كان لديه مسدسا..."

إرتدى إيرنست رداء الحمام الذي أعطاه له أحد ما كان يراقبه ليغطي نفسه. فقد كان غير قادر على طرد الزعر وإستمر في الهذيان: "بعض النار." طلب منه متعهد بيق هيل الإذن لإزالة بقايا ريتا ووافق إيرنست على طلبه. فقام أحد ما بتحنيطها قبل أن تراها مولي. ما الذي ستفعله عندما تعلم أن أختها قد قتلت؟ والآن من المتوقع أن تموت مولي أولا بسبب مرضها بالسكري. فهي الوحيدة التي بقيت.

لم يتمكن الباحثون من العثور على جثة نيتتي. وعزم قاضي الأمن في الأمر بأن المرأة الشابة المتزوجة ولديها طفل قد "إحترقت وتفتت إلى أجزاء." حتى أنه لم تكن هناك أية إشارات كافية لمواصلة البحث على الرغم من أن المتعهد المنافس وجد م يكفي للمطالبة برسوم الدفن. وقال متعهد بيق هيل: "لقد أخذت بعين الإعتبار الرجوع وإحضار الخادمة بنعشها ولكنه قام بضربي."

حمل الطبيب والآخرون بيل عاليا وكأنه ينازع للتنفس. وقاموا بحمله نحو سيارة الإسعاف وأخذوه إلى مشفى فايرفاكس حيث قام ديفيد شون بحقنه عدة مرات بالمخدر فقد كان هو الناجي الوحيد وفقد وعيه قبل أن يتم إستجوابه.

إستغرق وصول رجال القانون المحليين إلى المشفى وقتا. فقد كان مارشال المدينة وضباط آخرين في مدينة أوكلاهوما لمحاكمة قضائية. لاحظ أحد المحققون فيما بعد أن "وقت الجريمة كان متعمدا أيضا" لأنها قد حدثت عندما كان كل الضباط "بعيدين." فإنطلقوا مسرعين بعد سماعهم الخبر وعادوا إلى فايرفاكس وقاموا بإضاءة المصابيح ووقفوا يحرسون المخارج الأمامية والخلفية للمشفى تحسبا لقيام القتلة بالتخطيط للقضاء على بيل داخل المشفى وإستمر الحراس المسلحين بالمراقبة أيضا.

في حالة من الهذيان والإضطراب بين الحياة والموت كان بيل أحيانا يهذي متمتما: "إنهم إستعادوا ريتا والآن يبدوا وكأنهم إستعادوني." جاء لزيارة بيل، الصديق الذي كان بصحبته عندما ذهب إلى مزرعة قرامر وقال: "إنه فقط يهذي، لم أستطع أن أفهم أي شيء."

بعد قرابة يومين، إستعاد بيل وعيه وسأل عن ريتا. أراد أن يعلم أين دفنت. قال ديفيد شون أنه يعتقد أن بيل يخشى أن يموت وكان على وشك أن يصرح . للكشف عما يعرفه عن الإنفجار والقتلة. أخبر الطبيب السلطات لاحقا: "لقد حاولت أن أبعده عنه" وقلت: "بيل، هل لديك أي فكرة عن الفاعل؟" لقد كنت متلهفا لأعلم. ولكن قال الطبيب أن بيل لم يكشف أبدا عن الفاعل. في 14مارس بعد أربعة أيام من الإنفجار، توفي بيل سميث . ضحية أخرى مما أصبح يعرف بإسم عهد رعب الأوسيج.

=

نشرت صحيفة فايرفاكس في مقال إفتتاحي أن الإنفجار كان أبعد من أن يدرك ."إنه فوق قدرتنا أن ندرك أن البشر سيصلون إلى هذه المستوى من الإنحطاط." وطالبت الصحيفة القانون "بالبحث الدؤوب عن الجناة وتقديمهم للعدالة." وقام أحد جنود المطافئ الذي كان حاضرا في مسرح الجريمة، بإخبار إيرنست أن أولئك المسؤلون عن هذه الحادثة "لابد أن يلقوا في النار و يتم حرقهم."

في عام 1923من شهر إبريل، أرسل محافظ أوكلاهوما جاك سي. والتون هيرمان فوكس ديفيس؛ كبير محققي الولاية والمحامي والمحقق الخاص السابق لوكالة بيرنس لمقاطعة الأوسيج. كان ذو شعر أملس ومرتب، وعندما ينفخ على السيجارة؛ تلمع عيناه خلال طبقة دخانها الأزرق. وقال عنه أحد ضباط تنفيذ القانون أنه مثال ل: "بداية رواية المباحث."

أصبح العديد من الأوسيج يعتقدون أن السلطات المحلية كانت تتواطأ مع القتلة وأنه يمكن فقط لقوة خارجية مثل ديفيس وحدها يمكنها أن تتغلب على الفساد وتقوم بحل عدد القضايا المتزايد. ولكنه وفي غضون أيام، تم إكتشاف تواطؤ ديفيس مع بعض مجرمي المقاطعة المعروفين. وبعد ذلك، قبض

محقق آخر على ديفيس وهو يقوم بأخذ رشوة من رئيس منظمة القمار المحلية مقابل تركه يدير أعماله المشبوهة. وسرعان ما أصبح واضحا أن المحقق الخاص للدولة المكلف بحل قضايا القتل كان محتالا.

في يونيو عام1923، تمت إدانة ديفيس بتهمة الرشوة وتلقى حكما بالسجن لمدة عامين. ولكن بعد بضعة أشهر، تم الصفح عنه من قبل الحاكم. ثم ذهب ديفيس والعديد من المتآمرين وقاموا بسرقة وقتل أحد المحامين البارزين، وهذه المرة تلقى ديفيس عقوبة السجن مدى الحياة. وفي شهر نوفمبر تمت إدانة المحافظ والتون وعزله من منصبه بتهمة إساءة إستخدام نظام العفو وإطلاق سراح السجناء بدلا من أن تكون("لمواطني الولاية الشرفاء تحولت إلى جماعة القتلة والمجرمين.") وعزله جزئيا لتلقيه رشوة من رجل النفط إي.دبليو.مارلاند التي أستخدمت لبناء منزل فخم.

وسط هذا الفساد المذهل، حاول دبليو.دبليو. فوغان المحامي البالغ من العمر خمسة وأربعين عاما والذي يسكن في بوهوسكا والمدعي العام السابق الذي تعهد أن يقضي على العنصر الإجرامي الذي كان "طفيليا على من يكسبون رزقهم بوسائل نزيهة،" التصرف بلباقة. فقد عمل عن كثب مع المحققين الخاصين جاهدا لحل قضايا القتل في الأوسيج. وفي أحد أيام شهر يونيو من عام 1923 تلقى فوغان مكالمة طارئة من صديق لجورج بيقهارت وهو ابن أخ الرئيس الأسطوري جيميس بيقهارت أوضح فيها أنه يعاني من حالة تسمم مشتبه به. بيقهارت البالغ من العمر ست وأربعون عاما والذي كان قد كتب ذات مرة على طلب مدرسي عن أمله في مساعدة "المحتاجين، وإطعام الفقراء و كسوة العارين" تم نقله بسرعة إلى مشفى في مدينة أوكلاهوما. وقال صديقه أنه لديه معلومات عن قتلة الأوسيج ولكنه سيتحدث إلى فوغان الذي يثق به فقط. وعندما سأل فوغان عن حالة بيقهارت قيل له أن يأتي بسرعة.

أطلع فوغان زوجته التي أنجبت مؤخرا طفلها العاشرقبل مغادرته؛ عن المكان السري حيث خبأ الأدلة التي جمعها عن القتلة. وقال لها إنه إذا أصابه مكروه، يجب عليها أن تذهب وتأخذها في الحال وتقوم بتسليمها للسلطات، وستجدين مالا هناك لك وللأطفال.

عندما وصل فوغان إلى المشفى كان بيقهارت مايزال واعيا وكان هناك آخرين في الغرفة، أشار لهم بيقهارت ليغادروا، ثم شارك بيقهارت معلوماته بوضوح و التي تحتوي على أدلة جنائية. ظل فوغان بجانب بيقهارت لعدة ساعات حتى أعلن عن وفاته. وبعد ذلك قام فوغان بالإتصال بضابط مقاطعة الأوسيج الجديد ليخبره بأن لديه كل المعلومات التي يحتاجها فعاد مسرعا مستقلا أول قطار. ضغط عليه الضابط ليخبره إذا كان يعلم قاتل بيقهارت فقال له: "اوه، إنه يعلم أكثر من ذلك."

أنهى مكالمته وذهب إلى المحطة حيث شوهد وهو يستقل قطارا في الليل. وعندما توقف القطار في المحطة في اليوم التالي، وبرغم أنه لم تكن هناك أي إشارة إليه. فحسب ما ذكر في صحيفة *توسلا ديلي ورلد*، إختفاء مالك تاركا ملابسه في مقطورة قطار، سر إختفاء دبليو.دبليو.فوغان بوهوسكا.

إنضم فريق الكشافة الذي نظمت أول مجموعة له في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1959، للبحث عن فوغان بالإضافة للكلاب البوليسية التي إنضمت للبحث عن رائحته. وبعد ست وثلاثون ساعة من البحث الدؤوب وجدت جثة فوغان ممدة على خط السكة الحديدية على بعد ثلاثين ميلا شمال مدينة أوكلاهوما. مجردا بالكامل من ملابسه، تماما مثل رجل النفط ماكبرايد. وإختفت كل الأدلة التي أعطاها له بيقهارت، وعندما ذهبت أرملة فوغان إلى مكان إخفاءه الأدلة، وجدته خاليا تماما.

سأل المدعي العام القاضي عما إذا كان يعرف الكثير. فأجابه: "نعم سيدي، وكانت لديه وثائق قيّمة على نفسه."

إرتفع رقم العدد الرسمي للقتلى في إقليم الأوسيج المرعب إلى ما لا يقل عن أربعة وعشرين من أفراد القبيلة. وكان من بين الضحايا رجلان آخران حاولا المساعدة في التحقيق. أحدهما راعي شهير في الأوسيج سقط متدحرجا نحو الأرض من أعلى سلم بعد أن تم تخديره. وتم إطلاق النار على الآخر في أوكلاهوما مدينة وهو في طريقه لإخبار مسؤولي الولاية عن القضية. بدأت أخبار الجرائم بالإنتشار في مقال حمل عنوان "لعنة الأوسيج السوداء" ونشرت إذاعة *ليتراري دايجست* الوطنية أن أفراد القبيلة قد قتلوا في مراعي موحشة بواسطة عيار فولاذي ونسفوا بينما هم نيام في منازلهم." وتابع المقال، "مازالت اللعنة مستمرة حيث لا يعلم أين ستنتهي." أصبح أغنياء العالم أكثر الذين يتم إغتيالهم. وصفت الصحافة فيما بعد أن القتل أصبح وكأنه: "مظلم وخبيث مثل أي قصة قتل في القرن والفصل الدموي في تاريخ الجريمة الأمريكية."

فشلت كل المجهودات لكشف الغموض. بسبب التهديدات مجهولة المصدر. فقد أجبر المدعي العام لوقف التحقيقات في الجرائم الأخيرة. فعزل نفسه في غرفة قديمة وقفل الباب. وترك ضابط المقاطعة الجديد يقوم بالتحقيق في الجرائم. إعترف لاحقا قائلا بغموض: "لم أكن أرغب بالإختلاط فيه،" "هناك إتجاه خفي كالنبع على رأس واد. الآن ليس هناك نبع فقد جف ولكنه شق طريقا إلى أسفل القاع." ولحل القضايا قال: "إنها أفعال كبيرة ولن يتمكن الضابط والقليل من الأشخاص من فعلها، إنها تتطلب الحكومة لتفعل ذلك."

في عام1923 بعد قصف سميث، بدأت قبيلة الأوسيج حث الحكومة الفيدرالية بإرسال محققين ليس لهم أي صلة بالمقاطعة أو الدولة، على عكس الضابط أو ديفيس. إعتمد المجلس القبلي القرار الرسمي الآتي نصه:

لما كان، في أي حال من الأحوال يتم إعتقال المجرمين وتقديمهم للعدالة، و

لما كان، يرى مجلس الأوسيج القبلي أنه من الضروري الحفاظ على أرواح وممتلكات أفراد القبيلة وأن تتخذ إجراءات سريعة وعسيرة للقبض على المجرمين ومعاقبتهم...

فليكن قرارا مستقبلي، أن يطلب من وزير الداخلية المبجل الحصول على خدمات وزارة العدل في القبض على قتلة أفراد قبيلة الأوسيج ومحاكمتهم.

أرسل جون بالمر فيما بعد المحامي نصف سيوكس خطابا إلى تشارلس كورتس عضو مجلس عمدة شيوخ الولايات المتحدة من كنساس؛ التي تقع على جانب كاو والأوسيج. كان كورتس آنذاك أعلى مسؤول تم إنتخابه للرئاسة صاحب النسل الهندي المعترف به على الإطلاق. وقال بالمر لكورتس أن الوضع أكثر خطورة مما يمكن لأي شخص أن يتخيله، ومالم يحصل هو وأشخاص آخرون على نفوذ وزارة العدل للتصرف مع "الشياطين" خلف "أكبر سلسلة جرائم فاسدة على الإطلاق قد أرتكبت في هذا البلد" فإنه سوف يتم تجاوز العدالة.

=

بينما كانت القبيلة في إنتظار رد الحكومة الفيدرالية، كانت مولي تعيش في فزع، وكانت على علم بأنها من المحتمل أن تكون الهدف التالي في المؤامرة الواضحة للقضاء على أسرتها. لم تستطع نسيان تلك الليلة قبل عدة أشهر قبل الإنفجار، عندما كانت على فراشها هي وإيرنست فسمعت ضجيجا

خارج منزلها. كأن أحد ما إقتحم سيارتهم. طمأن إيرنست مولي هامسا: "إستلقي بهدؤ" كما هرب الجاني بعيدا في السيارة المسروقة.

كان هال في تكساس عندما حدث الإنفجار. ورأى الآن الأنقاض المتفحمة للمنزل الذي يشبه حطام الحرب . "الأثر المروع" كما وصفه أحد المحققين. وعد هال مولى أنه سينتقم وبطريقة ما لدم عائلتها. عندما سمع هال أن مجموعة من الخارجين عن القانون . ربما كانت نفس المجموعة المسؤولة عن عهد الإرهاب . تخطط لسرقة صاحب متجر يحتفظ بألماس في خزنة. فتعامل مع الأمر بنفسه. ونبه صاحب المتجر الذي كان متأهبا؛ فمن المؤكد أنه رأى المتسللون في تلك الليلة إقتحموا وهاجموا أحدهم ببندقية ذات الفوهة الواحدة وعيار 12. بعد هروب الخارجين عن القانون الآخرين، ذهبت السلطات لتفقد الرجل الميت وعندما رأت سنه الذهبية الأمامية فوجدو أنه آسا كيربي مساعد هينري قرامر.

في أحد الأيام، هاجمت النار مراعي هال. وإنتشر الحريق لأميال وكسا السواد وجثث الأبقار الأرض. بدت مولي وحتى ملك الأوسيج معرضان للهجوم. وبعد متابعتها للعدالة لمدة طويلة، قامت مولي بعزل نفسها خلف أبواب ونوافذ منزلها المغلقة. وتوقفت عن إستضافة الضيوف أو حتى حضور الكنيسة؛ كان هذا وكأنما قام المجرمون بتحطيم حتى إيمانها بالله. وسط سكان المدينة كانت هناك أقاويل بأنها قد عزلت نفسها بعيدا خوفا من أن تصاب بالجنون أو أن يتلف عقلها بالفعل بسبب الضغط. ويبدو أن مرضها بالسكري يزداد سوءا. إستقبل مكتب الشؤون الهندية رسالة من شخص مجهول يعرف مولي وقال أنها كانت: "تفقد صحتها ولا يتوقع أن تعيش طويلا." وقامت بإعطاء طفلتها الثالثة آنا لأقاربها ليقوموا برعايتها بسبب أنها ذبلت بسبب الخوف وسوء حالتها الصحية.

يمضي الوقت على الأرض. هناك القليل من السجلات الموثوق بها على الأقل لوجود مولي أثناء هذه الفترة. ولا يوجد سجل حول ما شعرت به عندما وصل عملاء من مكتب التحقيقات . فرع مجهول لوزارة العدل، أنه في عام1935 أراد أن يعيد تسمية مكتب التحقيقات الفيدرالية . أخيرا إلى المدينة. ولايوجد سجل لما إعتقدته بخصوص الأطباء أمثال الإخوة شون، الذين كانوا دائما يأتونها ويقومون بحقنها بما قيل عنه أنه الدواء المعجزة الجديد: "الإنسولين." كان كما لوأجبرت للعب دور مأساوي، فقد دفعت نفسها خارج القصة.

ثم في أواخر 1925، إستقبل القس المحلي رسالة سرية من مولي، قالت فيها أن حياتها كانت في خطر. وسرعان ما رفع عميل من مكتب الشؤون الهندية تقريرا آخر: "لم تمت مولي بسبب مرض السكري على الإطلاق، فقد سممت هي الأخرى أيضا."